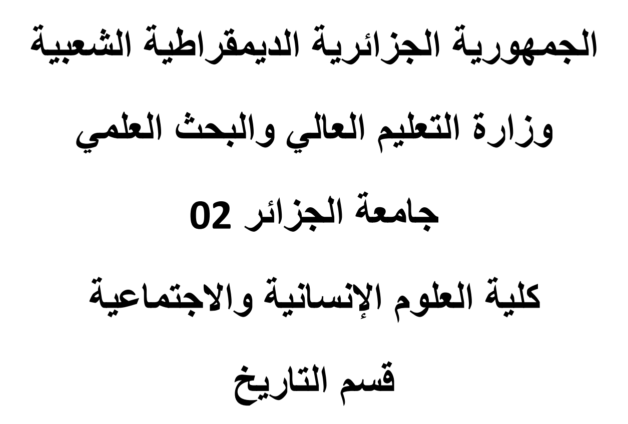


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الجيش الروماني وهيآته في المغرب القديم

من سنة 146 ق م - 40 م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب	إشراف
بوخلف فريد	الدكتورة ويزة أيت عمارة

2012م/2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العلي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 02

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الجيش الروماني و هيآته في المغرب القديم من سنة146 ق.م- 40.م

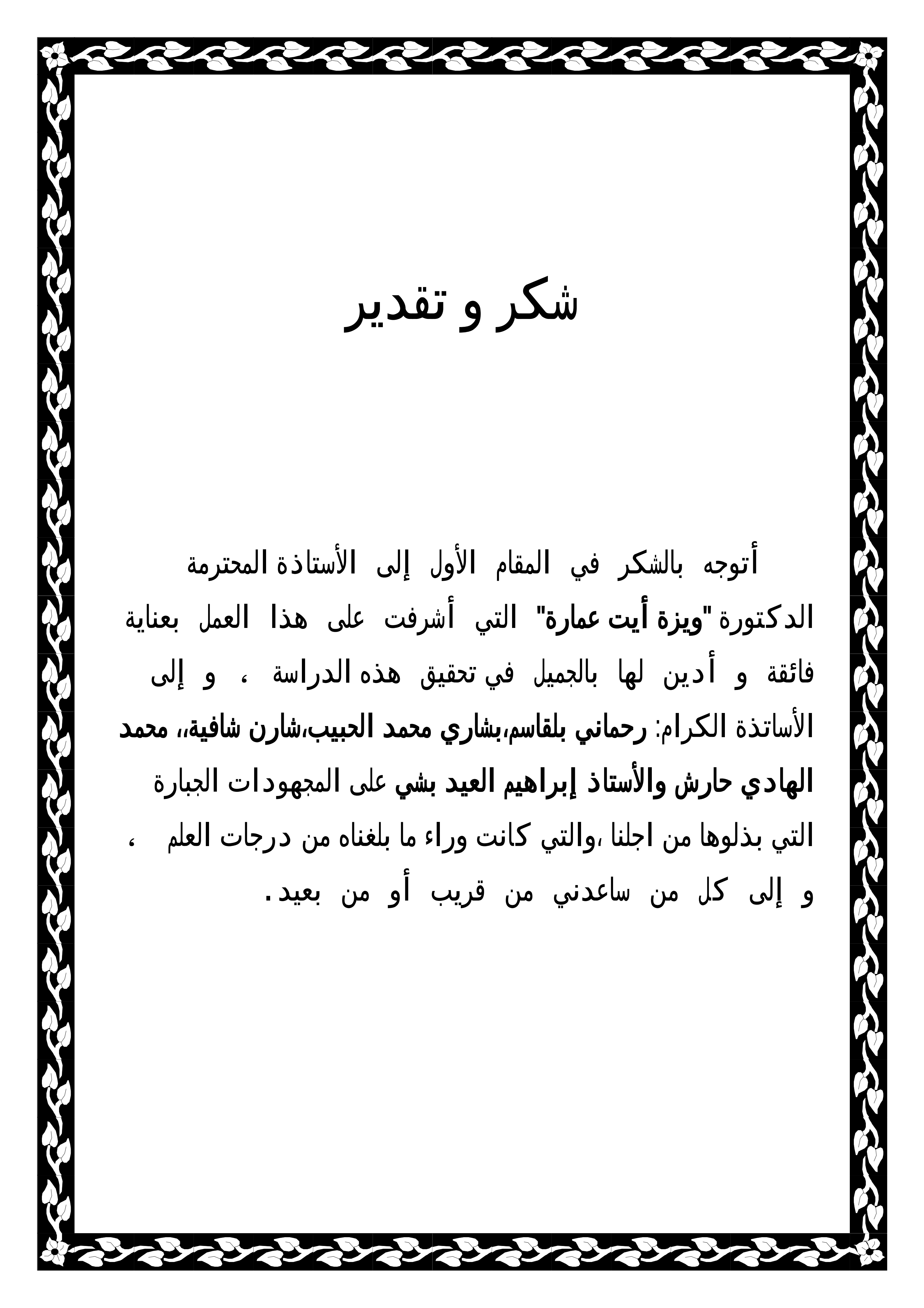
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب	***إشراف***
بوخلف فريد	*الدكتورة ويزة أيت عمارة*

لجنة المناقشة

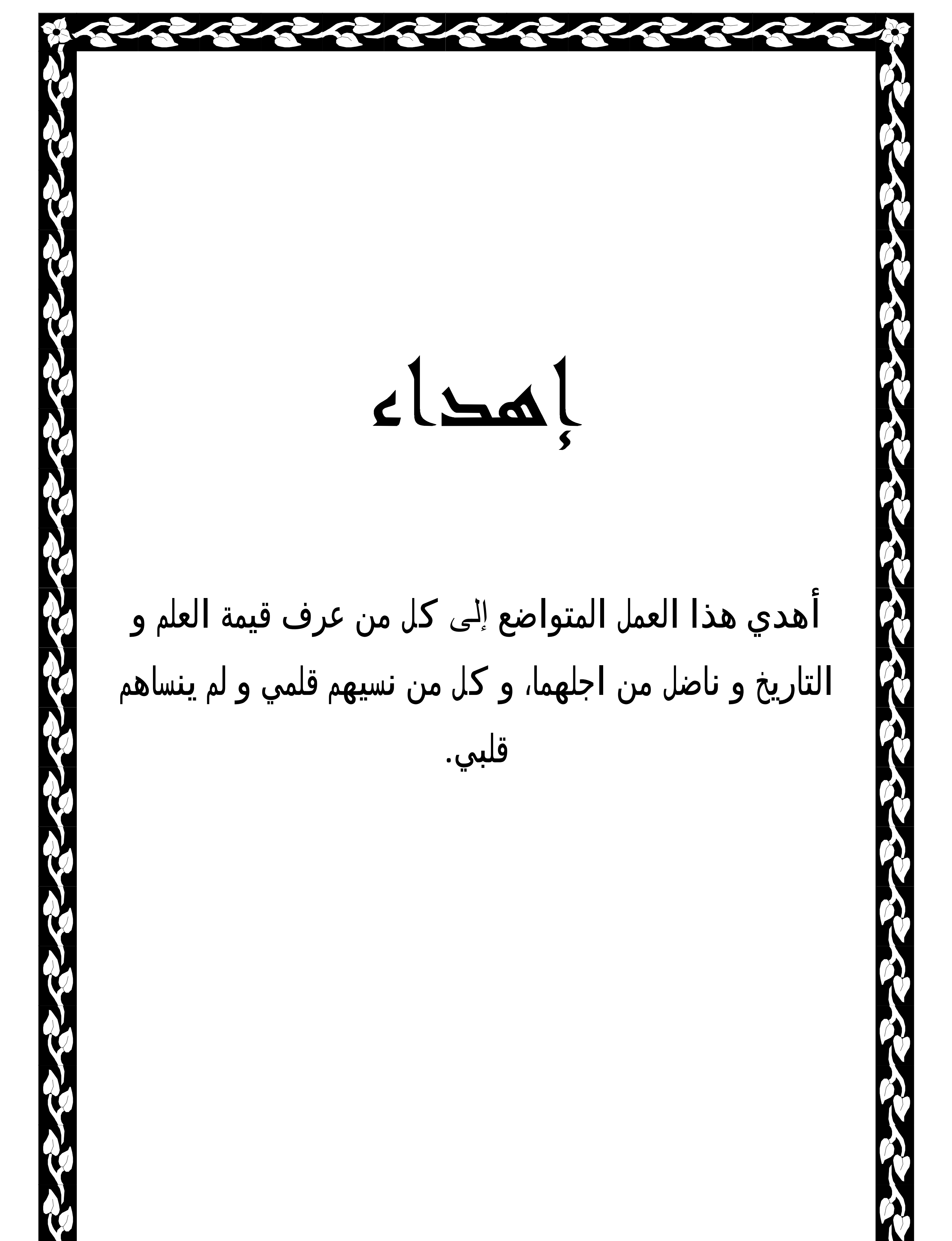
- الأستاذ:	الدكتور إدرس سالم	رئيسا
- الأستاذة:	الدكتورة *ويزة أيت عمارة*	مشرفا و مقررا
- الأستاذة:	الدكتورة عمروس فريدة	عضوا

السنة الجامعية *2012* م – *2013* م



شكر و تقدير

أتوجه بالشكر في المقام الأول إلى الأستاذة المحترمة الدكتورة **"ويزة أيت عمارة"** التي أشرفت على هذا العمل بعناية فائقة و أدين لها بالجميل في تحقيق هذه الدراسة ، و إلى الأساتذة الكرام: **رحماني بلقاسم،بشاري محمد الحبيب،شارن شافية،، محمد الهادي حارش والأستاذ إبراهيم العيد بشي** على المجهودات الجبارة التي بذلوها من اجلنا ،والتي كانت وراء ما بلغناه من درجات العلم ، و إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.



إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من عرف قيمة العلم و التاريخ و ناضل من اجلهما، و كل من نسيهم قلمي و لم ينساهم قلبي.

قائمة المختصرات

H. A. A. N	*Histoire Ancienne de L'Afrique du nord*

مقدمة

تعتبر سنة 146ق.م السنة الحاسمة في تاريخ إفريقيا(*) فإذا كانت سنة للانتصار الروماني والتخلص من العدو القرطاجي الذي هدد كيانه، فان الأمر على النقيض تماما بالنسبة للأفارقة، إذ يعتبر هذا التاريخ بداية للتواجد الروماني على أراضيهم وبداية المعاناة والحروب و قرون من الاستعمار والمقاومة ضد المحتل الذي استغل كل ما يملك بهدف فرض نفوذه في المنطقة ولم يستثني من ذلك القمع ،الاستيطان،العبودية،التهجير.

و في اقل من قرن بدأ في حصد نتائج سياسته، ففي سنة 46 ق.م قام قيصر بضم أملاك المملكة النوميدية إلى أراضي الشعب الروماني واحتفل بهذا الانتصار الكبير في روما الذي اختتمه بمقولته المشهورة *"أتيت لروما بأرض تزودها بالقمح لمدة ستة اشهر"*؛ مشير بذلك إلى المستقبل الذي كان على الأفارقة مواجهته وكذلك الخطوط العريضة للسياسة الرومانية المبنية على التوسع واستغلال خيرات المنطقة المحتلة، مستخدمة في ذلك شعارها الذائع الصيت *"ملك الشعب الروماني"* و ما يتبعه من إجراءات المسح، الاحتلال والاستيطان التي تفضي إلى نتائج كارثية بالنسبة للملاك الشرعيين لهذه الأراضي من تهجير وتشريد واستعباد.

وإذا كان الصمود والمقاومة العنيدة للأفارقة في مواجهة السياسة التوسعية التي طبقتها روما لم يثنيها في تحقيق مآربها فهذا يعود في الأساس إلى تمكّن الرومان من الوسائل التي ضمنت لهم التفوق على خصومهم وبالأخص الجيش القوي والمنظم الذي لعب الدور الريادي في مجريات الأحداث التي شهدتها إفريقيا في هذه الحقبة، فالمؤسسة

---

*)- استعملنا مصطلح "إفريقيا" عوض عن مصطلح " المغرب القديم" في المذكرة رغما أن كل من المصطلحين يعبران عن نفس الإقليم الجغرافي إلا أن مصطلح إفريقيا هو المصطلح القديم الذي يلائم الفترة المعنية بالدراسة في المذكرة و لذلك فضلنا استغلال هذا المصطلح .

العسكرية الرومانية كانت بمثابة اليد الطويلة لسادة روما ووسيلتهم الفعالة في ضمان نجاح مشاريعهم و ذلك بالمجهودات الكبيرة التي بذلها في إخماد كل المقاومات المحلية بعد أن نزل في إفريقيا بهدف القضاء على القوة القرطاجية وبمباركة حلفائه في المنطقة في أعز مراحل الصراع الروماني القرطاجي ليتحول بعدها إلى ألذ أعداء من استقبلوه وساهموا في انتصاره الكبير في زاما، فلا تخلو أي دراسة عن التاريخ الروماني في إفريقيا من ذكر الدور الأساسي الذي لعبه هذا الجيش و في كل المجالات.

هذا الدور الذي دفع الكثير من المؤرخين والباحثين المحدثين لتخصيص دراسات كاملة لهذا الجيش، انطلاقا من المعلومات الواردة إلينا في المصادر التي عايشت هذه الفترة أو تلك القريبة من منابع المعلومة، و إذا كانت تلك المصادر من الأهمية بحيث يستحيل معها على أي باحث في خبايا الجيش الروماني في إفريقيا الاستغناء عنها، إلا أنها كانت مصدر جدال واسع بين المؤرخين في مواقف عديدة تضمنتها المعلومات الواردة عن المؤرخين القدماء .

كان تحدي هذا الواقع الذي فرضه الكثير من المؤرخين الغربيين الدافع الرئيسي لنا في انجاز هذه الدراسة المعنونة *"الجيش الروماني و هيآته في المغرب القديم من سنة 146ق.م إلى غاية40م"*، بهدف التطرق إلى الجوانب الخفية من هذا الجيش التي غض التاريخ والمؤرخين النظر عنها إما سهوا أو عمدا، ومحاولة إزالة الغموض على علاقة الأفارقة بالجيش الروماني في هذه الفترة الحساسة التي عرف فيها تطورات جذرية، كما

حقق فيها انتصارات مصيرية حددت طبيعة التواجد الروماني في المنطقة لقرون طويلة و معها حدد مصير الأفارقة.

و كانت هذه الوقائع وراء الإشكالية الرئيسية في دراستنا المتمثلة في : ماهية الجيش الروماني في إفريقيا؟ و تفرعت منها أسئلة ثانوية متمثلة في : ما هي طبيعة علاقته بالسكان الأصليين؟ و ما هو موقف الأفارقة من المستعمر الروماني ؟

و لأجل تحقيق هذا الهدف و الإجابة الشافية عن هذه الأسئلة اعتمدنا خطة البحث التي ظهرت لنا الأكثر ملائمة للموضوع بحيث قمنا بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول مكملة لبعضها البعض دون المقدمة والخاتمة، فكان الفصل الأول المعنون *"التنظيم العسكري الروماني في إفريقيا"* الذي حاولنا من خلاله التطرق إلى التنظيم العسكري والمكونات البشرية لمختلف الفرق العسكرية الرومانية في إفريقيا، والتعرض لتاريخ هذه الفرق من الفرق الرومانية والمساعدة و البحرية الحربية والتغييرات التي أحدثت في قيادتها وتسييرها و يجدر بنا الذكر إن هذا الفصل طويل نوعا ما مقارنة بباقي الفصول و هذا راجع في الأساس إلى طبيعة المواضيع التي قمنا بدراستها في هذا الفصل و التي تتطلب التعمق و غزارة المعلومة.

أما الفصل الثاني المعنون*"التنظيم اللوجستيكي للجيش الروماني في إفريقيا"*، فتطرقنا من خلاله إلى مختلف الخدمات التي كانت الإدارة العسكرية تتكفل بها لصالح الجنود و كيفية التحكم فيها من ملابس ومؤن وأسلحة و كذا رواتب الجنود المشكلين لهذا الجيش،

فيما كان الفصل الثالث من الدراسة بعنوان *"منجزات الجيش الروماني في إفريقيا"*، و فيه تناولنا الانجازات العسكرية للفرق الرومانية في إفريقيا، فيما تعمدنا في إدماج الانجازات الاقتصادية والسياسية في عنوان موحد نظرا للارتباط الموجود بين الموضوعين، أما الفصل الرابع و الأخير من الدراسة فقد قمنا بتخصيصه للمقاومة الإفريقية بعنوان *"مقاومة الأفارقة(مقاومة يوغورطة، ارابيون و تكفاريناس نموذجا)*؛ و لم يكون اختيارنا لهذه النماذج من المقاومة بضربة حظ و إنما يعود ذلك إلى أهمية تلك المقاومة وتأثير نتائجها على مصير المنطقة من جهة، و من جهة أخرى أخذنا بعين الاعتبار الفترة التاريخية التي حدثت فيها تلك المقاومات و هي الفترة التي تغطيها دراستنا، و نظرا لطبيعة المواضيع التي قمنا بدراستها اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي.

وسعيا وراء المعلومات الضرورية لانجاز هذه الدراسة قمنا بالتفتيش المضني في المصادر والمراجع التي اهتمت بالموضوع، و لعل أهم المصادر التي اطلعنا عليها هي المصادر اللاتينية المعاصرة لتلك الأحداث، ومن ابرز هذه المصادر كتاب المؤرخ الإغريقي *بوليب(Polybe)* التاريخ الروماني*(Histoire Romaine)*؛ الذي ساعدنا في فهم النظام العسكري الروماني و مجمل أحداث عصره التي كان شاهد على الكثير منها، و بنفس القيمة أفادنا كتاب المؤرخ *تيت ليف (Tite-Live)* التاريخ الروماني *(Histoire Romaine)*، كما لم يكن لنا من خيار آخر سوى كتاب المؤرخ سالوست *(Salluste)* *حرب يوغورطة (Guerre De Jugurtha)* في تناول مقاومة يوغورطة باعتبار الكتاب

هو المصدر الوحيد في الموضوع الذي و صلنا كاملا، فيما أفادنا كتاب المؤرخ أبيان (Appien) *تاريخ الحروب الأهلية في الجمهورية الرومانية (Histoire Des Guerres Civiles De L a République (Romaine* بكتبه المتعددة في فهم الصراع الروماني الداخلي ونتائجه على إفريقيا و كذا مساهمة الأفارقة في هذا الصراع، و كانت حوليات (*Les Annales*) تاسيت *(Tacite)* بمثابة موسوعة التاريخ الروماني التي ساعدتنا كثيرا في فهم أهم الأحداث الإفريقية في القرن الأول الميلادي، و كان كل من كتاب المؤرخ بومبينيوس ميلا*(Pomponius Mela)* الجغرافيا *(Géographie)*، كتاب بلين الكبير *(Pline L'ancien) التاريخ الطبيعي (Histoire Naturelle)؛ و جغرافية سترابون(La Géographie De Strabon) بمثابة المرشد في* التأكد من أسماء المدن وفهم المعطيات الجغرافية لمنطقة إفريقيا في تلك الفترة القديمة، كما كان لنا كتاب *كورنليوس نيبوس(Cornelius Nepos)* حياة القادة الكبار *(Les Vies Des Grands Capitaines)* ، كتاب المؤرخ *ديون كاسيوس(Dion Cassius) التاريخ الروماني (Histoire Romaine) و حرب إفريقيا لقيصر(La Guerre* D'Afrique*)* سندا في فهم الكثير من الأمور في التاريخ الإفريقي القديم .

أما المراجع التي استعنا بها في إتمام هذه الدراسة، فكان كتاب المؤرخ الفرنسي كانيا *(Cagnat,R)* المعنون *"الجيش الروماني الإفريقي (L'armée Romaine D'Afrique et l'occupation militaire de L'Afrique sous les Empereurs)؛*

أهم تلك المراجع نظرا إلى غزارة المعلومات الواردة فيه فيما يخص الجيش الروماني في إفريقيا، إلى جانب كانيا نجد مؤلف المؤرخ ستيفان قزال (Gsell, St) *في تاريخ شمال إفريقيا القديم* (*Histoire Ancienne de l'Afrique du nord De*) بأجزائه الثمانية الذي يعتبر بمثابة موسوعة في التاريخ الإفريقي القديم.

إلى ذلك استعنا بمجموعة من المراجع العربية في انجاز هذه الدراسة أهمها كتاب *التاريخ الروماني* في جزءه الأول للمؤرخ المصري إبراهيم نصحي الذي أفادنا كثيرا في فهم الأحداث التي تشكلت فيها الدولة الرومانية وتأثيرها على مستقبل سياستها، كما سمحت لنا كتب المؤرخ الجزائري محمد البشير شنيتي "*الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ، سياسة الرومنة 146 ق.م – 40 م* " *و التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني*" في فهم المراحل المختلفة التي مرت بها السياسة الرومانية في إفريقيا.

و إلى ذلك اعتمدنا على مصادر ومراجع أخرى أفادتنا كثيرا في فهم الموضوع والقيام بدراستنا قدر المستطاع. و يجدر بنا الذكر أن الأمر الذي زاد الموقف تعقيدا في تحقيق الدراسة هو ضياع الكثير من النسخ الأصلية لهذه المصادر، بالإضافة إلى أمر لا يمكن تجاهله و *يتمثل في* النهاية الحزينة التي آلت إليها مكتبة قرطاجة بعد سقوط المدينة في 146 ق.م بين أيدي الرومان الذين قاموا بحرق الجزء الأكبر منها حسب ما تذكره الأخبار التاريخية، و الشيء المؤكد من هذه الحادثة المؤلمة في التاريخ القديم هو استحواذ

الرومان على كتاب العالم القرطاجي في الزراعة "ماقون" ، الذي أفادهم كثيرا في استغلالهم للأراضي الإفريقية بعدما سيطروا عليها، كما سمحت لهم هذه النهاية التي آلت إليها هذه المكتبة في احتكار المعلومة التاريخية المتعلقة بالأحداث المصيرية التي عرفتها المنطقة بصفة خاصة والعالم القديم بصفة عامة، وبالمقابل حرمت الباحثين من المعلومات الموازية لما ورد في المصادر الرومانية التي كان بإمكانها لو وجدت إفادتنا بمعلومات أوضح عن أخبار قدماء الأفارقة .

طبعا لم يكون البحث بالسهولة التي كنا نتوقعها إذا واجهتنا صعوبات كثيرة أهمها على الإطلاق جهلنا للغة اللاتينية والإغريقية الأمر الذي حرمنا من مصادر هامة، كما أن معظم المصادر والمراجع متوفرة باللغة الفرنسية ما تطلب منا ترجمتها إلى اللغة العربية و هو الأمر الذي أخذ منا من الوقت الطويل والجهد المضني .

ورغم هذه الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذه الدراسة المتواضعة إلا أن من واجبنا الاعتراف لكل الذين وقفوا معنا لتجاوز هذه العقبات و تحقيق هذه الدراسة التي لم تكن لترى النور لولا المساعدات التي تلقيناه من جانبهم.

الفصل الأول

التنظيم العسكري للجيش الروماني في إفريقيا

الفصل الأول

1 - التنظيم البري

أ - الفرق النظامية *"الفرقة الاغسطية الثالثة نموذجا"*

- تاريخ الفرقة
- قادة الفرق:

- البروقنصل (Proconsul)
- الليغا (Légats)
- النقباء (Les tribuns)

النقيب لاتكلاف (Le tribun Laticlave)

النقيب أنغستيكلاف (Le tribun angusticlave)

نقباء الستة اشهر (Les tribuns Semestres*)*

- الجنود والتجنيد في الفرقة الاغسطية الثالثة
- انجازات الفرقة الاغسطية الثالثة

ب - *الفرق المساعدة في الجيش الروماني*

2- التنظيم البحري للجيش الروماني في إفريقيا:

أ- تاريخ البحرية الرومانية

ب- تركيب البحرية الرومانية

إن الباحث في تاريخ شمال إفريقيا القديم يستنتج في أول وهلة مدى تأثير الأحداث التي جرت في منتصف القرن الثالث ق.م على مصير هذه المنطقة برمتها، فلقد كان الهجوم النهائي على مدينة قرطاجة في عام *146 ق.م*[1] من طرف الرومان بقيادة الجنرال سيبيون إيمليان فيما اعتبر بخاتمة سلسلة من الحروب الطويلة بين روما وقرطاج و المعروفة تاريخيا بالحروب البونية، وهذه الأخيرة تندرج في الحرب البونية الثالثة[2].

والأهم من كل هذا ليس فقط نهاية تلك الحروب المريرة بين الطرفين، وزوال قرطاجة كقوة إقليمية وحضارة قائمة منذ قرون غابرة، وإنما تأثير تلك النتيجة على مستقبل الطرف الفائز، أي الرومان في ذلك الصراع ومستقبل الأفارقة بعدما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام قوة عظمى تتخذ مصلحة الشعب الروماني شعارا لها ودون سواه، وهو ما يمكن أن يختزل جميع سياسات الدولة الرومانية فيما بعد أينما رحلت وارتحلت.

ودون شك كانت الأهداف البعيدة لشعار الذي رفعه العضو البارز في مجلس الشيوخ الروماني كاتون[*3] والمتمثل في قوله: *" يجب تدمير قرطاجة"*[4] أعمق بكثير مما يحاول بعض المؤرخين[5] إيهامنا به على أنه رغبة شديدة من روما في القضاء على عدو

---

[1] *Cagnat, R., 1913, L'armée Romaine D'Afrique et L'occupation Militaire de L'Afrique sous Les empereurs. Partie I et II, E. Leroux, . P.V*

[2] *APPIEN histoires des, GUERRE CIVILES de la république romaine ,I ,paris. Tite live histoire romaine,Trad. Nisard, paris. Polybe, Histoire romaine paris.*

[3] *- كاتون(234ق.م/149ق.م): رجل سياسي و كاتب روماني عايش الحرب البونية الثانية و اشتهر بمقولته "يجب تدمير قرطاجة".*

[4] *- صهران،م.ب.، 1999. المغرب القديم، الإسكندرية، ص. 282.*

[5] *- Gsell, St., Histoire ancienne de L''afrique du nord, T.1, librairie Hachette. Cagnat, R .,1913*

تقليدي، وإنما يتعد ذلك وهو نابع من عمق السياسة المنتهجة من طرف روما في سعيها المستمر وراء خيرات البلدان من أراضي وعبيد لإرضاء سادة مجلس الشيوخ في روما وضمان سيطرتها على أسواق المنطقة، وهو ما نلتمسه في تصريحات قيصر بعد أن أتّم احتلال المملكة النوميدية بحيث صرح:"*أتيت لروما بأرض تزودها بالقمح لمدة ستة اشهر*"[1].

الأمر الذي دفع بعض المؤرخين بوصف مناورات الرومان في شمال إفريقيا بالحركة الامبريالية وتعاملهم مع الأفارقة مطابق لسياسة التي طبقها الغرب ضد الهنود الحمر في العالم الجديد[2]. وإنما الحسابات الضيقة في أروقة مجلس الشيوخ الروماني هي وحدها التي تفسر عدم العجلة في السيطرة على شمال إفريقيا برمته عقب سقوط قرطاجة، وهذا الأمر يظهر واضحا جدا إذا ما اطلعنا على النقاشات الدائرة في روما بين أعضاء مجلس الشيوخ الروماني حول هذا الموضوع وكيف أن مسألة الاحتلال الشامل وإعطاء صبغة أراضي الشعب الروماني لمنطقة شمال إفريقيا خلقت اختلافا حادا بين المقررين في روما[3].

---

1) *شنيتي،م.ب.، 1984التغيراتالاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع الميلادي،الجزائر،ص.85*

2) *شنيتي،م.ب.، 1984،ص، 64*

3) *Cagnat, R., 1913. Partie II, P.V.-*

وفي هذا الصدد نقل لنا المؤرخ الفرنسي روني فيكتور كانيا[1*] أحسن مثال على هذا الجدال الدائر هناك : *"ماذا نفعل، هل نقوم بإدماج الأراضي القرطاجية في أملاك الشعب الروماني؟ لكن هذا الأمر يحتم لنا إقامة حاميات عسكرية بانتظام، لأن الأمر يتطلب قوات كبيرة لسيطرة على تلك البلاد وسكانها الذين أصبحوا جيراننا ، هل نقوم بإنشاء مستعمرات وسط نوميديا المأهولة بالسكان و التي ستتعرض لنهب من طرف السكان الأصليين بدافع التحرر، إذن من الأفضل أن نترك قرطاجة قائمة."* [(2)]

إن هذا التردد دليل واضح على موقف الرومان من منطقة شمال إفريقيا، وإذا كان ذاك عقب نهاية الحرب البونية الثانية *202 ق.م*؛ فإن الأمر لم يتغير بصفة ملحوظة عقب نهاية الحرب البونية الثالثة *146 ق.م*[(3)]، الأمر الذي يفسر لنا الاستيلاء المحدود على مقاطعة إفريقيا وبالتحديد الأراضي التابعة للدولة القرطاجية، أو بالأحرى التي تركت لها بعد هزيمة زاما إذا علمنا أنا معظم أطرافها قد سلمت إلى الملك النوميدي *ماسنيسا* أو سيطر عليها بالقوة في فترة ما بين الحربين البونية الثانية والثالثة، ولنا أن نتصور محدودية تلك المقاطعة، ورغم ذلك أعلنت مقاطعة ملعونة لمدة طويلة من الزمن رفض

---

[1]) « Que ferons-nous, disait en plein Sénat un des orateurs qui y prirent la parole à cette occasion(3) ? Adjoindrons-nous le territoire carthaginois au domaine public ? Mais les .- revenus que nous en tirerons seront absorbés par l'entretien des garnisons que nous serons obligés d'y laisser en permanence ; car il faudra de grandes forces pour contenir tant de peuples sauvages, devenus ainsi nos voisins. Établirons-nous des colonies au sein de cette Numidie si peuplée ? Mais, ou bien elles seront détruites par les Barbares, ou, si elles parviennent à les subjuguer, elles aspireront à l'indépendance. Mieux vaut donc laisser vivre Carthage. » "d'Apre Appien les Guerres Civiles ,p,132." "الفقرة المترجمة من كتاب كانيا ص05

[2]) *Cagnat, R., 1913, P.V-*

[3]) *Cagnat, R. , 1913, p. v.-*

من خلالها سادة روما استيطانها رغم المحاولات المضنية لنائب العوام *كايوس غراكوس*(*Caius Gracchus*) في سنة *122 ق.م*[1]

إلا أن المصادر التاريخية[2] تؤكد وجود عملية استغلال الأراضي من طرف المستثمرين الرومان الكبار في تلك الفترة، و هو الأمر الذي يضع حجة الأرض الملعونة محل شك، و أن وقوفهم ضد محاولة الاستيطان التي دعا إليها كايوس غراكوس كانت للأسباب السالفة الذكر نظرا لما تتطلبه مثل هكذا عملية إلى ضرورة توفير الأمن وتوزيع الأراضي الزراعية على المستوطنون الجدد و ما تتطلبه من عملية مسح الأراضي و إحصائها، و هذا بالطبع لا يصبوا في مصلحة المستثمرين الكبار الذين يشكل السواد الأعظم منهم أعضاء مجلس الشيوخ الروماني أو الشخصيات النافذة في روما، فإذا كان هذا التردد يفسر شيء فهو يدل على الحسابات الدقيقة التي أخضعت لها هذه المسألة [3].

ولكن هذا لا يفسر من جانب آخر النوايا الحسنة لرومان اتجاه سكان المنطقة، لأن الوضع لم يدوم طويلا على حاله، لكن الظروف كما سبق أن ذكرنا كانت وراء هذا القرار[4]، فروما كانت منهكة في نهاية الحرب البونية الثالثة اقتصاديا وعسكريا، وبالتالي الأمر كان تأجيلا وليس إهمالا.

وإذا كان هذا الوضع هو حال الساسة المقررون في مجلس الشيوخ الروماني فماهو وضع الجيش الذي أوكلت له هذه المهمة؟ فمن الواضح أنه في موقع صعب نتيجة

---

1) – *APPIEN, les Guerre Civiles, I, trad. C-Dounous, 1808, paris. P24.*

2) - شنيتي.م.ب، *1984، 1985; César, guerre civile, Salluste ،Guerre de Jugurtha, Trad. Kamel Chehrit ,2006, Alger*

3) – *Cagnat, R., 1913, p.V*

4) – *Cagnat, R., 1913, p.V*

الحسابات السياسية في روما وثقل المسؤولية الملقاة على عاتق هذا الجيش، إذ وجد نفسه بين سنداد مجلس الشيوخ ومطرقة الوضع القائم على الأرض منذ وصوله إلى شمال إفريقيا وخاصة بعد زوال السبب الرئيسي لتواجده المتمثل في الخصم القرطاجي عقب نهاية الحرب البونية الثالثة في ربيع *146 ق.م*[1]، و المعروف في الإستراتيجية العسكرية أن ألدّ أعداء الجيوش ليس الخصم و إنما الملل و غياب الخصم نفسه.

وإذا استعنا بالأمثلة التاريخية لا نجد خير مثال في معاناة الجيش من الفراغ و غياب الخصم من التطرق إلى وضعية جنود *حنبعل* بعد معركة *كناي 216 ق.م*

لذلك لنا أن نتصور وضع جيش الجمهورية الرومانية في مقاطعة إفريقيا، لكن العبقرية التي تحلى بها الجنرال *سيبيون إيمليان*(*Scipion Emilien*) [2*]، أنقذت قواته من هذه الوضعية بحيث شرع فورا في إنجاز بعض الحاميات العسكرية والقلاع والخنادق[3].

وإذا كان الوضع لم يستمر لمدة طويلة في هذه الحالة، فإن وضع الجيش الروماني في مقاطعة إفريقيا، بقي عصيا على كل المؤرخين القدماء وباعتراف المؤرخين المحدثين، نظرا لقلة المعلومات التي وصلتنا عنه في تلك الفترة إما بضياع ما كتب عن هذا الموضوع في المصادر أو أنه متعمد من طرف هؤلاء المؤرخون.

---

1) – *Cagnat, R., 1913, p.V*

) - سيبيون اميليان(185ق.م/129ق.م): جنرال روماني قاد الجيوش الرومانية في الحرب البونية الثالثة ،و أشرف على عملية تدمير مدينة قرطاجة سنة 146ق.م، كما قاد الجيش الروماني وجيوش الحلفاء في حرب النومانس في اسبانيا سنة 133ق.م*

3) – شنيتي،م.ب.،1985،ص54.

وعلى كلّ فإن الأمر الواضح هو عدم احتفاظ روما بكل قواتها المشاركة في تدمير قرطاجة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، حيث يذكر لنا كانيا[1] عدد*30.000* جندي المتواجدون في كل المقاطعة الإفريقية.

وكما قلنا سابقا حتّمت الأوضاع الجديدة على الجيش الروماني في شمال إفريقيا تغيير خططه وأساليب قتاله وكذا مكوناته البشرية، وهو الأمر الذي نحاول التطرق إليه من خلال الفصل الأول من دراستنا *"للجيش الروماني في المغربي القديم و هيآته 146 ق.م/ 40م"* و هي المرحلة الأولى من التواجد الرسمي لهذا الجيش في إفريقيا، ولذلك نحاول تسليط الضوء على آلية عمله وتنظيمه الداخلي وعلاقاته بالممالیك الإفريقية.

1- التنظيم البري

أ- الفرق الرومانية: "الفرقة الاغسطية الثالثة"نموذجا"

- تاريخ الفرقة

اعتبرت الفرقة الاغسطية الثالثة، الفرقة النظامية الوحيدة والعمود الفقري للجيش الروماني في إفريقيا وهي نفسها التي قادت عملية التوسع والدفاع عن ممتلكات الشعب الروماني في المنطقة[2]. إلا أن تاريخها لا يزال غامضا و متضاربا بين البيانات التي يزودنا بها المختصون، فيما أرجعت بعض المراجع النشأة الرسمية لهذه الفرقة في السنة السادسة بعد الميلاد كما يؤكده المؤرخ *بول كوربي(Coubie ,p)* *وماري قريشهايمر*

---

1) *Cagnat, R., 1913, II , P.02.*-

2) - شنيتي،م.ب.، *1984*،ص*.57*

يان المؤرخ الفرنسي يفيدنا في مؤلفهما حول إفريقيا الرومانية، *(Griesheimer ,M)*[1] ولوبواك *(Le Bohec ,Y)*[2] بحديثه عن الإجراءات الاستثنائية التي يخصها مجلس الشيوخ الروماني في قيادة الفرقة الاغسطية الثالثة دون الفرق الأخرى وذلك أثناء توزيع المهام من طرف الإمبراطور *أغسطس*[3*] في عام *27 ق.م*، وهو ما يؤكد لنا التضارب الشديد في تحديد المعلومة ولكن على الأرجح أن الفرقة موجودة قبل هذه الفترة بكثير في مقاطعة إفريقيا بما أن *كانيا* يرجع هذه الفرقة إلى قيصر[4] .

ونظرا للوضع الخاص للمقاطعة خصت بهذه الاستثناءات من طرف المسؤولين الكبار على غرار الفرقة التاسعة التي استقرت في اسبانيا، إلا أن بعد السنة السادسة للميلاد وضعها الإمبراطور *أغسطس* في مقام جديد ومرتبة خاصة.

تؤكد لنا الدراسات الأثرية أن مراكز تابعة للفرقة الاغسطية الثالثة وجدت في المناطق المحاذية لمدينة قابس يعود تاريخها إلى ما قبل عام *14م*[5] و نقلت الفرقة مقرها الرئيسي إلى منطقة تيفاس[6*] عقب هزيمة القائد النوميدي *تكفاريناس* في حربه ضد الرومان بين عامي *17م – 24م*[7]، وهي الحرب التي لعبت فيها الفرقة الاغسطية الثالثة دور كبير في هزيمة الثائر النوميدي فيها، قبل أن تنتقل مقرها الرئيسي مرة أخرى إلى منطقة لمباز أين استقرت إلى غاية سقوط الإمبراطورية والتي أطلق عليها المؤرخون

---

(1) *Griesheimer,M., et Coubie, P.,L'Afrique Romaine, 146 av JC. 439 AP-J-c , II, l'expansion Romaine, p.68.*

(2) *Le Bohec , Y., 1989, La troisième Légion Auguste, Paris, p. 13 –*

(3*) *الإمبراطور أغسطس:مؤسس الإمبراطورية الرومانية ،غير اسمه الحقيقي من اوكتافيان إلى أغسطس وهو الوريث الشرعي للحكم من قيصر ، حكم بين سنة 27ق.م إلى غاية سنة 14م*

(4) *Cagnat, R., 1913, p.141-*

(5) *Griesheimer, M., et Coubie, P ., L'Afrique Romaine. II, P. 68 –*

(6*) *– مدينة تيفاس هي مدينة تبسة حاليا ، و تقع في الشمال الشرقي للجزائر.*

(7) *Tacite, Annales,1859 ,III, IV,Trad.Bunauf,paris-*

"العاصمة العسكرية للجيش الروماني في إفريقيا" إذ كانت في تلك الفترة تحت قيادة البروقنصل الروماني المعين من طرف مجلس الشيوخ الروماني[1] .

بقيت الفرقة على حالها في التسيير والقيادة إلى أن جاء الإمبراطور كاليقولا؛ في عام *37م*، بحيث أحدث تغيير جذري في قيادة الفرقة، إذ خول *الليغا* مسؤولية قيادة الفرقة الاغسطية الثالثة الذي قام مقام البر وقنصل الذي كان القائد العام للفرقة وكل الجيوش الموجودة في القاطعة الإفريقية[2]، وربما كان الإمبراطور كاليقولا يهدف من خلال هذا التغيير في القيادة إلى السيطرة المباشرة على الفرقة ما دام أنه يعين من يريد في منصب الليغا[3]، ومن جهة أخرى قطع الطريق أمام طموح البروقنصليون لفرض شروطهم على روما من خلال استعمال الفرقة الاغسطية الثالثة كوسيلة لضغط ضد سادة روما نظرا للأهمية البالغة التي تحتلها المقاطعة في اقتصاد روما[4].

وربما أكثر من ذلك كبح غرور هؤلاء المسؤولين عن المقاطعة في التفكير بالتمرد أو تجويع روما كما عبر عن ذلك المؤرخ كانيا [5]،إلا أن المؤرخ ارنست مرسيي *Ernest Mercier,* اعتبر سبب تغيير القيادة سببه المباشر هو الإخفاق الذي مني به البرقصنليون في حربهم ضد تكفاريناس[6] .

---

[1]- *Le Bohec, Y., 1989, p. 119*
[2]- *Cagnat, R.., 1913. P.26. Le Bohec, Y., 1989, p. 120*
[3]- *– الناصري ،م ،ع، 1991،تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري،ط 2،القاهرة،ص .58*
[4]- *الناصري ،م ،ع، 1991 ،ص .69.*
[5]- *Griesheimer, M. , et Coubie ,P., L'Afrique Romaine, II, P. 68*
[6]- *Mercier, E., 1888, Histoire de L'Afrique Septentrionale. « Berberie ». I. Paris. P.94*

وعلى كل فإن الفرقة الاغسطية الثالثة لم تحيد عن مهامها بتغيير قياداتها، بحيث احتفظت بدورها الرئيسي المتمثل في الدفاع عن مقاطعة إفريقيا ومواجهة ثورات الأهالي وكذا القيام بأعمال الهندسة من شقّ الطرقات ومسح الأراضي التي استولت عليها في حروبها ضد قرطاجة أو السكان الأهالي[1]

ويعتبر هذا التغيير الذي أحدث في قمة هرم القيادة للفرقة الاغسطية الثالثة بمثابة انطلاقة جديدة في تطور الفرقة، إذ أصبحت كيان مستقل عن سياسة القائد السياسي المتمثل في شخص البروقنصل الذي يعتبر المسؤول الأول عن المقاطعة الإفريقية وإن بقي نفوذه واضح في تسيير أمور الفرقة الاغسطية الثالثة حتى بعد أن انتزعت القيادة منه رسميا كما سلفنا الذكر، غير أن هذا النفوذ تضاءل مع مرور الوقت، وبالتالي تحسنت أحوال الفرقة عسكريا بالإشراف المباشر للقائد المتمثل في الليغا المعين من طرف الإمبراطور وهو الأمر الذي سمح للفرقة للتفرغ إلى أمورها بشكل واضح وتنفيذ مخططات الإمبراطور شخصيا وهو ما تجلى فيما بعد في ضم مملكة نوميديا إلى أراضي الشعب الروماني و التي عرفت بمقاطعة إفريقيا الجديدة، ومع مرور الوقت سيطرت الفرقة على الشؤون المدنية[2] في المقاطعة وهو تطور واضح ربما كان نتيجة النفوذ المباشر للإمبراطور على الفرقة الاغسطية الثالثة.

---

1)- *Tacite, Annales, IV, XXIV*

2)- *Le Bohec, Y., 1989, p .120*

و الجانب الأخر من تاريخ الفرقة الاغسطية الثالثة في إفريقيا، ففي بداية توسعها خارج المقاطعة الإفريقية القديمة يمكن أن نلاحظ تعاملها المباشر واستعانتها بالفرق المساعدة في إنجاح حملتها إما في مواجهاتها لثورات المحلية أو في انجاز مشاريعها الكبرى في المنطقة مثل القلاع والأخاديد، الأمر الذي أشار إليه المؤرخ كانيا متحدثا عن استعانة الفرقة الاغسطية الثالثة بقوات الملك النوميدي يوبا الثاني وكذلك فرق جلبت من مقاطعة أخرى خارج إفريقيا لمساعدتها في مواجهة قوات القائد النوميدي *تكفاريناس*[1]؛ مثل الفرقة التاسعة وكذا فرق الملك بطليموس في فترة لاحقة[2].

وإن كان هذا الأمر من الأمور المتوارثة عن الجيش الروماني فهو يعتبر في نفس الوقت سياسة رومانية ترمي إلى احتواء القوى المعادية بدل مواجهاتها فالتاريخ يحفظ لنا الدور البارز الذي لعبته فرق الخيالة النوميدية للملك ماسنيسا في معركة زاما في موقع حليف روما في الحرب البونية الثانية في جزئها الإفريقي[3].

وربما لهذا التميز الواضح للجنود النوميديين وكذا معرفتهم الدقيقة بالمنطقة هو ما جعل الفرقة الاغسطية الثالثة تعمل للحفاظ على هذا التقليد في التحالف مع الفرق المساعدة، دون أن نغفل سعي الرومان لادخار حياة جنودهم ما دام هناك من ينهض بالمهمة وعلى أكمل وجه.

---

1) – *Cagnat, R. ,1913. Partie II, P. 08, 19, 23*

2) - *Tacite, Annales, IV, XXIV*

3) – *Tite live , Histoire Romaine , XXX ,1. 35*

- *قادة الفرقة*

من المعروف أن الجيش الروماني ومنذ وصوله أراضي إفريقيا كانت الفرقة الاغسطية الثالثة هي العمود الفقري له في كل الحروب والمصاعب التي واجهته. ولكن الملاحظ هنا أن القيادة في الفرقة ترجع دائما إلى القنصل الذي يسير أمور الولاية وهو الذي يعينه مجلس الشيوخ الروماني لمدة عام بالقرعة[*1] عندما يحين وقت توزيع المقاطعات.

لكن البرقنصول المكلف بولاية إفريقيا هو الوحيد الذي يملك صلاحيات واسعة وسلطة شبه مطلقة بالولاية ونفسه القائد الأعلى للجيش الذي يكون تحت تصرفه التام[2]. وبقيت كذلك الجيوش الرومانية منذ عام *146 ق.م* حتى في أحلّك الأوضاع، فنلاحظ أن أثناء حرب يوغورطة على سبيل المثال قاد الفيالق الرومانية على التوالي رجال عينوا بروقنصليين في إفريقيا على غرار بيستيا و ماريوس[3] ونفسه ما حدث أثناء حرب القائد تكفاريناس بحيث قام البروقنصل فوريوس كاميوس *(Furius Camillus)*[4] بقيادة الفرقة الاغسطية الثالثة التي قاومت تكفاريناس من عام *17م* إلى*24 م* والتي كان لها دور مهم جدا في إنهاء هذه الحرب التي قادها بعد فوريوس بروقنصوليون آخرون في الفترات اللاحقة من بداية الحرب وهو حال البروقنصل أبروميوس*(Apromius)* في عام *18* و

**)- يتم انتخاب قنصلين لمدة عام ،ويتم توزيع المقاطعات على البرقنصوليون بعملية القرعة في مجلس الشيوخ الروماني و بذلك لا يمكن معرفة مسؤول المقاطعة مسبقا ،و يتم العمل بهذا الإجراء لتفادي الخلافات بين المسؤولين وترتيب الأمور من طرفهم مسبقا في الولاية التي يتولون إدارتها بهدف الرشوة أو الفساد،(أنضر كانيا الجيش الروماني الإفريقي. 1913،ص.126)*

[2]) – *Cagnat, R., 1913 . P. XVII*

[3]) – *Salluste, guerre de Jugurtha, XXVII. LXXXIV; Gsell, st., H.A.A.N, VII. P.154. 220*

[4]) – *Cagnat, R., 1913, P. 10*

19 م ، إلاّ أن الشرف في إنهاء تلك الحرب عاد إلى البروقنصل دولابيلا (*Dolabella*) سنة 24م[1] .

وبقي الوضع على حاله في قيادة الفرقة الاغسطية الثالثة إلى غاية سنة 37م؛ حينما وصل الإمبراطور كاليقولا إلى سدة الحكم، أين قام بانتزاع سلطة البروقنصل على الفرقة الاغسطية الثالثة وخولها لقائد عسكري باسم الليغا[2] الذي يعينه رسميا الإمبراطور شخصيا، وقد اجتمعت الآراء حول هذه الخطوة من طرف كاليقولا والتي أرجعها أغلب المؤرخين إلى رغبته في التحكم المباشر في جيش إفريقيا وكذلك كبح طموح البروقنصل وتفادي استفزازاته أو تهديده بتجويع روما [3] أو محاولته إملاء أمور سياسية أو الانفصال بالولاية عن روما، إلا أن قيادة الفرقة الاغسطية الثالثة لا تتوقف عن القانون الأعلى لجيوش إفريقيا وإنما تتعدى ذلك كما هو شأن كل الجيوش وفي كل الفترات إلى الضباط وضباط الصف الذين يتابعون أعمال الفرقة ويسهرون على السير الحسن لشؤونها وفيما يلي نحاول التطرق بشكل من التفصيل والتوقف على كل قيادة بانفراد.

- البرقنصل (*proconsul*)

نفهم من خلال المعطيات التاريخية وما توصلت إليه الدراسات التاريخية أن شخص البروقنصل يتم تعينه من طرف مجلس الشيوخ الروماني في روما لقيادة إحدى

---

1) *Mercier, E., 1888, I, Paris, P.94-*
2) *Cagnat. R., 1913. II, p. 26-123 ; Le Bohec, Y,1989. p. 120 –*
3) *Cagnat, R, 1913. P.123 –*

المقاطعات الرومانية وذلك عن طريق القرعة التي تقام كل عام [1] ويذكر المؤرخ لوبواك أن اختيار هؤلاء يرتكز بشكل صارم على مسيرتهم ونسبهم وانتماءاتهم الحزبية والجغرافية[2] وربما تلك الإجراءات مفهومة من الناحية السياسية لأن مجلس الشيوخ يسير بالنفوذ والمصالح المشتركة بين أعضائه قبل مصلحة الشعب، وبالتالي حسن اختيار المسؤول الأول عن المقاطعة يضمن لهم الفوز بالصفقات، والنفوذ فيها وبالإضافة إلى ذلك ضمان تبعية المقاطعة وعدم المغامرة بشخص مشكوك في أمره يجلب متاعب جمة على الدولة.

وفي هذا المقام يجب أن نشير أن أغلبية المرشحين للمناصب الراقّية في الدولة الرومانية جلهم من عائلات النبلاء، الأمر الذي أصبح تقليدا في الثقافة الرومانية والقلة القليلة من الذين انحدروا من العائلات المتواضعة و تمكنوا من الوصول إلى مراكز مهمة في الدولة تحسب على أصبع الأيدي، دون أن تتدخل ثروتهم في فرض أنفسهم في هذا المقام، وربما مثل هذه الأمور هي التي حلت دون وصول شخصيات ثرية جدا إلى مراكز هامة في الدولة وأن خطيئتها الوحيدة هي انحدارها من عائلات غير عائلات النبلاء، ولعل أبرز دليل على ذلك شخصية سالوست، فرغم ثرائه الفاحش إلا انه فشل في تبوئ المناصب العليا في الدولة و أعلى منصب تمكن منه هو مسؤول مقاطعة إفريقيا الجديدة الذي أهداه إياه قيصر في سنة *45 ق.م*[3]، بحكم علاقات الصداقة التي تربط بينهما و

---

1) *Gsell, st., H.A.A.N, VIII, p. 02 ; Cagnat, R.1913, P.123-*

2) *Le Bohec, Y., 1989, p. 123 –*

3) *Pseudo César, La Guerre D'Afrique, I, 97, trad. collection Nisard, 1865, Paris –*

مكافئة له على مساندته، الأمر الذي دفعه لإطلاق السياسة بعد اغتيال قيصر سنة 44ق.م[1] بعدما يأس من الوصول إلى منصب أسمى بسبب العراقيل التي واجهته باعتباره لا ينتمي إلى طبقة النبلاء.

وان وجب علينا أن نقر بوصول شخصيات أخرى رغم قلتها كما سلفنا الذكر مثل ماريوس الذي هو أيضا ينحدر من عائلة غير نبيلة لكنه تبوء منصب البروقنصل بحيث قاد ونجح في حربه ضد يوغورطة[2] .

ويمكن لنا استقراء النفوذ الذي كان في يد البروقنصل في مقاطعة إفريقيا إذ يؤكد لنا كانيا أنه الآمر والناهي في معظم شؤون المقاطعة على غرار التصرف في شؤون الجيش مثل تعيين القادة ، ومعاقبة المخالفين وتشريف الناجحين.[3]

- الليغا ***Légat***[4] (**Légats Augusti**)

لقد ذكرنا سابقا أن كل السلطات المخولة للبروقنصول في الشؤون العسكرية وبالأخص قيادة الفرقة الأغسطية الثالثة، قد انتزعت منه لتخول للقائد العسكري للفرقة تحت تسمية الليغا، وذلك منذ اعتلاء الإمبراطور كاليقولا سيادة الحكم في روما عام 37م.

وعلى عكس سلفه، البروقنصل الذي كان يعينه مجلس الشيوخ فإن الليغا يتم تعينه من

---

[1] - العبادني ، م.،1999،الإمبراطورية الرومانية،الإسكندرية،ص.67.

[2] *Salluste, Guerre De Jugurtha, Trad. Kamel Chehrit, 2006, Alger CXIII.*

[3] - إبراهيم نصحي ، التاريخ الروماني،الجزء الأول، 1973.،القاهرة،ص،191.

[4] *Le Bohec, Y. , 1989, P. 123.*

طرف الإمبراطور شخصيا وخول كل السلطات التي كانت مخولة لسابقه في قيادة الفرقة الأغسطية الثالثة[1].

وإذا كانت مهمته الرسمية التي تفرض عليه السهر على السير الحسن لأمور الفرقة العسكرية في كل جوانبها التطبيقية والإدارية إلى أنه حسب ما يذكره كانيا بقي ولمدة طويلة تحت نفوذ البرقنصول[2]، وان لم يكن له السيطرة الشرعية عنه حسب السلطات المخولة لكل طرف من قبل أحكام التشريع الروماني، ولكن على ما يذكر لوبواك في مؤلفه الذي خصصه للفرقة الأغسطية الثالثة، نفهم على أن هذا النفوذ الذي مارسه البروقنصل على القائد الجديد للفرقة الأغسطية الثالثة قد انقلب رأس على عقب مع الوقت، إذ بعدما كان النفوذ الذي يمارسه البروقنصل على الليغا ظاهرا على ما يذكر كانيا، أصبح الليغا يتدخل في الشؤون المدنية حسب ما يذكره لوبواك [3].

وهنا ربما الأمر منطقي نوعا ما نظرا للمساندة التي يتلقاه الليغا من الإمبراطور شخصيا، وكذلك الدور الرائد الذي كانت الفرقة تلعبه لضمان حماية المقاطعة الإفريقية وهو ما تحدثنا عنه سالفا في الدور الذي لعبه الجيش في مقاومة وإخماد حرب يوغرطة و تكفاريناس، وكذلك ضمان وصول الإمدادات الضرورية خاصة القمح منها إلى روما. وبالتالي فالأمر مفهوم من منطلق الحسابات السياسية في روما والتي تعتبر قادة الجيوش في إفريقيا بمثابة يدها الطويلة في ضمان استقرار الإمبراطورية خاصة العاصمة روما و

---

1) *Le Bohec, Y., 1989, p.* 120

2) *Cagnat, R., 1913, P.124.*

3) *Le Bohec, Y،1989, p. 120*

تزويدها بالقمح الإفريقي، وفي تلك الظروف فإن النفوذ من الطبيعي أن يميل إلى الأكثر مساندة من طرف روما[1].

إن الأهمية التي كان الليغا يخّص بها إلى حد التدخل في تسيير الأمور المدنية كما ذكرنا سابقا لا تعني أنه يختار من الطبقة النبيلة كما هو البروقنصل وإنما في هذا المقام بالتحديد يخبرنا المؤرخ كانيا[2] على أن معظم اللذين يعينون في منصب الليغا إنما هم من الطبقات السفلى من أعضاء السناتور وأقل رقيا من البروقنصل منزلة وان لم يستبعد كانيا تغيير أمور الليغا في الفترات التي تلت المرحلة الأولى من تحويل الليغا عوض البروقنصل قائدا للفرقة الأغسطية الثالثة[3] .

وكانت فترة خدمة الليغا على رأس الفرقة الأغسطية الثالثة في المقاطعة الإفريقية غير محددة بقانون إداري يفرض بدايتها ونهايتها وإنما تتعرض لرغبة الإمبراطور في إبقاء أو خلع القائد من منصبه [4] ، عكس ما كان عليه القائد السابق الذي يعين لفترة سنة واحدة.

وعلى عكس كل المقاطعات الأخرى فإن الليغا في منطقة إفريقيا، كان هو نفسه القائد الأعلى للقوات المسلحة وقائد الأركان في الفرقة الأغسطية مع وجود مساعد أول له في تسيير شؤون الجيوش الأخرى والثاني في تسيير شؤون الفرقة الأغسطية وحدها، في حين كان القائد العام للقوات المسلحة في المقاطعات الأخرى تحت تصرف قيادة أركان

---

[1]) *Le Bohec, Y., 1989, P.*120

[2]) *Cagnat, R., 1913, P.128*-.

[3]) *Cagnat, R., 1913, P.126*

[4]) *Cagnat, R., 1913, P.128*

كاملة متكونة من ضباط سامين في الجيش على غرار الجنرالات التي تساعده في تسيير الأمور العسكرية للمقاطعة [1]

- *النقباء (Les Tribuns)*

يعتبر منصب النقيب في القيادة الثانوية للفرقة الأغسطية الثالثة، منصب مستحدث بالنظر إلى تاريخ الفرقة رغم أهميته في ضمان التسيير الحسن لشؤون الفرقة وهذا ما نلتمسه من خلال الشروح التي قدمها المؤرخان[2] في حديثهما عن القيادة في الفرقة، وربما يعود ذلك إلى التطورات والمستجدات التي طرأت على المقاطعة خاصة بعد انهيار النظام الجمهوري وقيام النظام الإمبراطوري وتغيير القيادة التي خولت لشخص الليغا بعدما كانت من نصيب البروقنصل سلفا[3]؛ ونظرا لمنصب القيادة الموكل للنقيب الذي هو أدنى مرتبة من مرؤوسه ،فذلك ينعكس على مرتبته الاجتماعية، إذ أنه يتم اختيارهم حسب مناصبهم المتعددة والمهام الموكلة إليهم داخل النظام الهرمي للفرقة، وكان أغلبيتهم إما إداريين أو محافظي المراكز العسكرية، ..ونجد أن المؤرخين قاموا بتصنيف النقباء في الفرقة الأغسطية الثالثة حسب أدوارهم و لتكون الصورة أكثر وضوحا على هؤلاء النقباء، نحاول التطرق إلى هذا التقسيم[4]

- النقيب لاتكلاف *(Le Tribun laticlave)* ومعظم المنتسبين إلى هذه الرتبة العسكرية هم من العائلات السيناتورية وغالبا ما كان لهم مسيرة عسكرية أو خبرة

---

1) *Cagnat, R., 1913, P.120.*-(

2) *Le Bohec, Y., 1989, p. 120* (

3) *Le Bohec, Y., 1989, p.* 120 (

4) *Cagnat, R., 1913, P.163.* (

إدارية سابقة ولقب بالمحافظ العسكري على ما يذكر لوبواك[1] وكان دوره الرئيسي هو السهر على التسيير الحسن لشؤون المعسكر من خدمات إدارية وصحية، وكل شؤونه المختلفة، ونفسه المسؤول على قيام المعسكرات المتحركة أثناء قيادة الفرقة للحمالات العسكرية وكذلك هو المشرف على العتاد العسكري وغالبا ما توكل إليه قيادة فرقة الخيالة أو المشاة أثناء قيام الحرب[2].

- *النقيب أنغستيكلاف (Le Tribun Angusticlave)* وهو من فئة الفرسان وغالبا ما يكون قد قاد الوحدات المساعدة في الجيش من قبل، ولذا فإن مهامه الأساسية تتشكل من الأدوار العسكرية المحضة رغم مشاركته في الاجتماعات الاستشارية لقيادة الأركان على حد تعبير لوبواك[3]، والمتمثلة في غرض الانضباط في صفوف الجيش والصهر على السير الحسن لحراسة المعسكر والمؤن العسكرية والدفاع عن حقوق الجنود[4] وكل هذا في حالة السلم أما في حالة الحرب فيوكل بقيادة فرقيتن عسكريتين كما يتولى هو نفسه تدريبها وتنظيمها نظرا للميزة الكبيرة التي يمتلكها في هذا الجانب[5]

- *نقباء الستة أشهر*[6*] *(Les tribuns semestres)*

---

1) *Le Bohec, Y., 1989, p. 121.*
2) *Le Bohec,Y. , .1989, p. 121.*
3) *Le Bohec, Y., 1989, p. 121.*
4) *Le Bohec, Y., 1989, p .121.*
5) *Le Bohec, Y., 1989, p. 125*
6*) نقباء الستة أشهر يتولون المسؤولية لمدة ستة أشهر كما تدل على ذلك تسميتهم.

نقباء الستة أشهر هم آخر الضباط مرتبة في الفرقة الأغسطية الثالثة[1]، وهم يمارسون مهامهم لفترة لا تتعدى نصف العام [2] [i] ورغم كثرة الأحاديث التي جرت حول مهام هؤلاء فإن مرتبتهم تدعوا إلى الشك في توليهم مسؤوليات مهمة جدا في الفرقة الأغسطية الثالثة. و من الصعب القبول بمثل هكذا اقتراح لأن فترة قيادتهم كما تدل على ذلك تسميتهم لا تتعد الستة أشهر وربما الأمر نفسه الذي ترك المؤرخ لوبواك[3] يشك في قيادة هؤلاء الفرق العسكرية والخيالة نظرا لأهمية هذا المنصب بحيث اكتف المؤرخ بتحديد دورهم كمساعدين في المكاتب التابعة للشخصيات المدنية والعسكرية[4] ، ويبدوا لنا لنا هذا الأمر منطقي إذ ما استندنا إلى الحجج التي ذكرنها خاصة قصر مدة التوظيف.

بالإضافة إلى هؤلاء الضباط الكبار في الفرقة الأغسطية الثالثة نجد العديد من المناصب التي تعتبر مناصب مساعدة يتولى قيادتها ضباط أقل مرتبة[5] ، وهي مناصب تساهم في السير الحسن لشؤون الفرقة ويظهر لنا أن أغلب هذه المناصب استحدثت في الفترة التالية لحكم الإمبراطور كاليقولا وبالتالي فهي فترة خارجة عن إطار الدراسة التي نقوم بها.

- *الجنود والتجنيد في الفرقة الأغسطية الثالثة*

---

1) *Le Bohec, Y., 1989, p. 121*

2) *Le Bohec, Y., 1989, p .122*

3) *Le Bohec, Y., 1989, p .122*

4) *Le Bohec, Y., 1989, p .122*

5) *Cagnat, R. , 1913. p. 128, 129,130.*

ربما ينطبق كثيرا ما قاله تاسيت على عموم الجيش الروماني بتعبيره التالي: *"الجيش الروماني من أصل واحد ودم واحد"*[1] ؛ و عن الفرقة الأغسطية الثالثة لأن التقليد الروماني بقي هو نفسه في كل البقاع التي سيطر عليها بالإضافة إلى كون الفرقة الأغسطية الثالثة، متكونة من الفيالق الرومانية التي تجند في صفوفها مواطنون رومان فقط دون غيرهم، وهذا على الأقل في القرون الأولى من تاريخ روما وحتى القرن الأولى ميلادي.

وتستثني هذه الإجراءات حالة التعبئة العامة[*2] التي كان التجنيد خلالها يفرض على جميع الشبان البالغين 17 سنة إلى غاية 60 عاما، والتي قسمت بدورها إلى قسمين أي فئة أـولى مؤهلة للقتال من 17 عاما إلى 45 عاما، أما الثانية فمعظمها من احتياط الجنود وهم كبار السن أو قدماء المحاربين، ساهموا خاصة في العمل داخل السفن أو كاحتياط في الحالات الخاصة جدا[3].

إلا أن الأمور تغيرت كثيرا بعد وصول القائد ماريوس[4] إلى قيادة الجيش في أوج الحرب ضد يوغورطة، إذ قام هذا القائد بنسف التقاليد الرومانية في التجنيد بحيث جعل الجيش الروماني يفتح أبوابه على كل شخص يريد ذلك[5] وعلى الحكومة الرومانية تحمل نفقات هؤلاء الجنود وهذا يجعلنا نعتقد أن حال الفرقة الأغسطية الثالثة هو نفسه

---

[1]) *Tacite, 1861, I, 24.*

[*2]) *التعبئة العامة، تعلن عندما تكون الأمة في خطر شديد مثلما حدث بعد معركة كناي 216 ق.م.*

[3]) *Gsell, St., H. A. A. N, VII, p.225.*

[4]) *- ايمار.أ. أبويه.ج. تاريخ الحضارات العام، ج2، روما وإمبراطوريتها.*

- إعراب: فريد داغر وفؤاد أبو ريمان، منشورات عويدات ، باريس ، ص.120

[5]) *Salluste, Guerre de Jugurtha, LXXXVI.*

حال الفيالق والفرق الرومانية الأخرى بالرغم من أن هذه الفرقة تأثرت كثيرا باحتكاكها الشديد بسكان إفريقيا، وإن بقيت نواتها الصلبة متكونة من الجنود الرومان وأكثرهم من الفئة المنتمية إلى صفة الفرسان، إلا أن مع مرور الوقت أصبح بعض الجنود من السكان غير الرومان ينخرطون في الفرقة، و ربما بلغوا بعض المراتب السفلى من القيادة، و أحسن حالة يمكن التطرق إليها هي حالة القائد النوميدي تكفاريناس الذي كان جندي في الفيالق الرومانية العاملة بإفريقيا قبل أن يتمرد عليها[1] غير أن القيادة في جميع الحالات بقيت مهمة رومانية بحتة[2].

يجب أن نشير أن جنود الفرقة الأغسطية الثالثة يرتبون حسب التنظيم الروماني إلى فيالق، وكل فيلق يتكون من *4000*[3*] جندي في أغلب الأحوال ويساندها حوالي *300* فارس، واعتمدنا هذه الأرقام فيما يخص عدد جنود الفيالق على ما رواه المؤرخ ستيفان قزال في كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم، بحيث عدد جنود أتباع بومبي ب: *12.000* جندي في ثلاثة فيالق، ونفسه لأتباع قيصر التي عدا فيها *40* ألف جندي في *10* فيالق وبذلك يصبح العدد الذي نحن بصدد الإشارة إليه هو *4000* جندي في كل فيلق، و لا نستبعد أن يكون أقل من ذلك أو أكثر، لأن المثال الذي تطرق إليه ستيفان قزال هو عبارة عن حالة خاصة جدا بما أن الأوضاع كانت متوترة والجيش كان في حالة

---

1) *Tacite, Annales, II.XXIII.*

2)-ورث، ت.،2003 ، الإمبراطورية الرومانية ص.44. ترجمة رمزي،ع،ج،القاهرة،

3) *Gsell, st,, H.A.A.A.N, VIII.P.33.*

*) *في عملية حسابية بسيطة نستنتج أن عدد جنود الفيلق الروماني هو 4000 جندي ،فبتقسيم عدد 40000 جندي على عشرة فيالق المكونة لجيش قيصر في إفريقيا حسب إفادة قزال فإن العدد حينها يصبح أربعة آلاف في كل فيلق ،و نفسه لجيش بومبي إذا قسمنا عدد جندي 12000 على ثلاثة فيالق.*

حرب داخلية، وبالعودة إلى حالة الفرقة الأغسطية الثالثة فإن أغلب الضن هو بقاء فرقة واحدة في حالة السلم دون استبعاد فرضية تعاونها مع الفرق المساعدة أو التابعة للملوك المحلية وهو الأمر الذي أكده ستيفان قزال في كتابه تاريخه عن شمال أفريقيا[1] .

ولذلك كما نلاحظ يبقى تحديد عدد المنتسبين إلى الفرقة الأغسطية الثالثة أمر صعب جدا إن لم يكن مستحيلا لأن كما قلنا هذا الإجراء يختلف حسب اختلاف الأوضاع الأمنية في المقاطعة من حالة حرب وسلم لأن المنتخب في روما هو من يملك سلطة تحديد عدد القوات تبعا لمجريات الأحداث في المقاطعة.

لكن المؤكد هو أن الفرقة ومنذ تأسيسها في عهد قيصر على حد تعبير كانيا[2]؛ وحتى إن صدق الطرف الذي يعتبر سنة ستة ميلادي هو تاريخ تأسيس الفرقة في إفريقيا إلا أن المؤكد أنها لم تغادر المنطقة إلى غاية انهيار الإمبراطورية، وهو ما يعني أن تواجدها كان دائما ولو بفرقة واحدة على الأقل وفي كل الأحوال كانت تضم ألاف المشاة ومئات الخيالة.

والملفت للنظر أن الفرقة الأغسطية الثالثة يعود إليها الفضل الكبير في إنجاح المشروع الروماني في إفريقيا وذلك بالعمل الصعب الذي قام به جنود الفرقة من مهندسين عسكريين ومساحي الأراضي[3] التي استولت عليها كما دمرت المقاومات الإفريقية[4]؛

Gsell, st., H.A.A.A.N , VIII.P.32. (1

Cagnat, R., 1913, p.141.(2

2*) حول المهندسين ومساحي الأراضي ومختلف الوظائف البسيطة في الفرقة أنظر كتاب كانيا ابتداء من ص 162) وما يتبعه، وكذالك كتاب محمد البشير شنيتي حول وضعية الأرض "التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني "ابتداء من ، ص55 وما يتبعه .

Cagnat,R .,1913, P.141. (4

وشق الطرق وتنظيم الإدارة ووضعها التشريعي الخاص يؤكد لنا هذه الفرضية كما أعقبنا القول أن تقسيم القيادة في عام *27 ق.م* استثنى الفرقة الأغسطية الثالثة في إفريقيا حسبما ذكره المؤرخ يان لوبواك[1].

- *انجازات الفرقة*

من خلال المراحل السابقة للدراسة نستشعر الأهمية البالغة للفرقة الأغسطية الثالثة في إفريقيا، وبالتالي يظهر لنا من الحق التعرض للبعض الانجازات الهامة لهذه الفرقة التي ذاع صيتها منذ نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي وبقيت بالتالي العمود الفقري للقوات الرومانية المتمركزة في إفريقيا، وإذا سلمنا بما ورد عن المؤرخ مومسان*(Mommsen)* بكون مؤسس الفرقة الأغسطية الثالثة هو قيصر كما ذكره لنا المؤرخ كانيا[2]، فإن عند إذن يمكن لنا اعتبار الانتصارات التي حققها قيصر بمثابة أكبر انجاز لهذه الفرقة التي تعتبر فرقة النخبة في الجيش الروماني، التي يعود إليها الدور الرئيسي في القضاء على المماليك النوميدية والقضاء على يوبا الأول ، وأعداء قيصر من أنصار بومبي في سنة *46 ق.م.*[3] ; وبالتالي تحقق الحلم الروماني بالسيطرة على منطقة إفريقيا وكثيرا ما وصفها كانيا نفسه أنها من قادت عملية إخماد ثورة تكفاريناس و احتلال نوميديا[4].

---

1) *Le Bohec, Y., 1989, p. 124.*
2) *Cagnat, R., 1913, P 41.*
3) *Pseudo César, Guerre D’Afrique.*
4) *Cagnat, R., 1913, p.141-*

وفي هذا الموقع بالضبط يجدر بنا التطرق إلى الدور الحاسم الذي لعبته الفرقة الأغسطية الثالثة إبان حرب تكفاريناس بين سنتي *17 م إلى 24 م*، بحيث قادت حملات ضخمة ضد الثورة المحلية بقيادة القناصل لسنوات عديدة، هذه الحرب التي لفها الكثير من الغموض خاصة في أسبابها العميقة والمناطق التي كانت معقل لها[1].

و إن لم يستبعد المؤرخين المنطقة الممتدة في الشرق الجزائري حاليا بحيث جعلت الفرقة الأغسطية الثالثة من منطقة تبسة مقرها الرئيسي بعد احتلال تلك المناطق ما يجعلنا نعتقد أن الهدف المنتظر من نقل المقر الرئيسي لهذه الفرقة إلى قلب تلك المناطق التي كانت موطن الجيتول والمسولامي، وهي القبائل التي ينتمي إليها القائد تكفاريناس؛ كانت نتيجة للدروس المستخلصة من هذه الحرب التي أنهكت الجيوش الرومانية وبالتالي محاولة السيطرة النهائية عليها لتفادي تكرار مثل هكذا ثورات مستقبلا، لكن الأمر الواجب تأكيده هو أن الفرقة الأغسطية الثالثة لعبت دورا حاسما فيها لما رمت بكل ثقلها في هذه الحرب بعد أن كانت في بدايتها كارثة على الجيش الروماني إذ يؤكد لنا المؤرخ كانيا[*2] أن الكثير من الجنرالات قتلوا ضد الثوار المحليين الذين رفضوا الانضواء تحت نير الاستعمار الروماني وهو ما دفع الإدارة الرومانية إلى تعيين جنرالات أكفاء على رأس الفرقة الأغسطية الثالثة التي قادت الحرب وكان أولهم البروقنصل *أتراتينوس سومبرونوس*

---

1) - Cagnat, R., .1913p. 3

*)- *قبائل الجيتول والمسولامي: هي القبائل الواقعة في المناطق الشرقية الداخلية لإفريقيا بحيث تمتد أراضيها من واد النيقري على الحدود الإثيوبية جنوبا إلى غاية واد امباسغا شمالا وهي مناطق تتصف بالمناخ القاسي (بلين الكبير،التاريخ الطبيعي،الفقرة 29)*

.[1](*Sempronius Atratinus*)

وإن كان الموقع لا يساعدنا على الحديث المدقق في شؤون هذه الحرب لكن المؤكد أن الكثير من الجنرالات تعاقبوا على قيادة الفرق الرومانية التي خاضت هذه الحرب لسنين طويلة وما فتئت أن أنظمت إليها معظم القبائل الداخلية مثل *القراموت والجيتول* حتى أصبحت مصالح روما في المنطقة على المحك، وإذا كانت في البداية هددت سلطات الملك يوبا الثاني ، أصبحت مع الوقت تهديدا خطيرا للمقاطعة الرومانية في إفريقيا[2] .

لكن لا نستبعد المبالغة التي يعتمدها المؤرخين في مثل هذه التقديرات لأن المتّبع لمجريات الحرب يكتشف أن أتباع تكفاريناس لم يكونون بالقوة التي يتحدث عليها المؤرخون ،إذ وباعتراف منه، أن تكفاريناس عجز عن احتلال حاميات عسكرية أو مدن صغيرة ليست شديدة التحصين منها ما استدل به كانيا في حديثه عن فشل تكفاريناس في السيطرة على معسكر قدماء المحاربين[3] وخاصة أنهم كانوا في تحالف وثيق مع الملك يوبا الثاني وبالتالي نستغرب هذا الحكم القاسي من هؤلاء المؤرخين، لكن يظهر واضحا أن في مثل هذه الأوضاع على الجيش الروماني إيجاد كل المبررات لتوسع على حساب الأهالي وهو ما ثبت مباشرة بعد نهاية هذه الحرب التي تبقى انجاز عظيم للإدارة الرومانية والفرقة الأغسطية الثالثة التي سمحت لها بالسيطرة على أراضي واسعة وغنية

---

[1]- *Cagnat, R. ,1913 ,P.6.*

[2]- *Cagnat, R., 1913, P.6*

[3]- *Cagnat, R., 1913, P.14.*

وموقع استراتجي، سمح لها فيما بعد لمواصلة التقدم جنوبا إلى أن جانبت رمال الصحراء[1].

وبالإضافة إلى قيادتها لمثل هذه الحروب ضد الثورات التي كانت تهدد كيان روما في المنطقة، كانت هناك انجازات ضخمة أخرى قامت بها الفرقة الأغسطية الثالثة المشهورة بمهندسين ومساحي الأراضي، وفي هذا المقام يحدثنا المؤرخون عن عملية المسح الممنهجة للأراضي حسب خطط مدروسة بدقة [2] مباشرة بعد الاستيلاء عنها يتم تقسيمها إلى قطع كبيرة يبلغ طول كل واحدة منها 710 متر وحوالي 50 هكتار وأطلق عليها اسم كانتورياي

(*Centuriae*) على ما يذكر كل من محمد البشير شنيتي و قزال[3]، وما يتبع هذه العملية من سلسلة إجراءات معقدة ومدروسة لا شك أن مهندسي الفرقة الأغسطية الثالثة كلفوا بتطبيقها في سياسة لا تخلو من أهداف السيطرة الاستعمارية المطبقة وما يضاف إلى هذه الفرقة الانجازات الضخمة في ميدان البناء والقنوات المائية والمراكز العسكرية والطرق والجسور والحواجز التي ساهمت كلها في إرساء السيادة الرومانية على إفريقيا وهي الأمور التي نحاول التفصيل فيها في الفصل الثالث المخصص لانجازات الجيش الروماني في إفريقيا.

ب- الفرق المساعدة

---

1)- شنيتي.م.ب.1984،ص.*109*.

2)-*Cagnat, R., 1913 .P 25*

3)- شنيتي.م.ب.، *1984* ،ص. *55 ; 12 .Gsell, St., H.A.A.A.N ,VII.P*

إن شاسعة الأراضي التابعة للإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا كانت حائلا دون تمكن الفرق الرومانية في السيطرة عليها بالقوات النظامية التي لا تتعدى فيلق عسكري في حالة السلم وعدة فيالق في حالة الحرب وبالتالي كانت أعدادها تتراوح من بضعة آلاف إلى حدود *30.000* جندي كأقصى حد[1].

هذا السبب هو الذي دفع بالإدارة الرومانية لتهيئة الفرق المساعدة وزيادة أعدادها للتحكم في الوضع، خاصة في مواجهة الخطر الداخلي المتمثل في الثورات التي كان الأفارقة أبطالها في كل مرة تتاح لهم الفرصة وكذا غزوات القبائل البدوية المستقرة في المناطق الداخلية التي كانت خارج السيطرة الرومانية، لذلك قامت الإدارة الرومانية بتشكيل فرق مساعدة معظم أفرادها من الأفارقة الموالين للإدارة الرومانية، وقد التمسنا ذلك من خلال المساندة التي قدمها الملك يوبا الثاني ضد تكفاريناس؛ وكذلك الملك بطليموس[2]، ووصل وصف كانيا لهذه الفرقة حدا خول فيها نفسه لإعطاء صورة واضحة عنها بتشبيهها بفرق "الحركة" في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر في القرن الثامن عشر الميلادي، إلا أن المؤكد هو أن أعدادها فاق بكثير أعداد القوات النظامية[3] .

ورغم الأهمية البالغة والدور الرئيسي الذي لعبته هذه الفرق المساعدة في تمكين الاحتلال الروماني من أراضي إفريقيا، إلا أن تاريخها لا يزال غامضا بسبب نقص

---

1)- *Cagnat, R., 1913. P.261.*

2)- *Tacite, Annales, IV, XXIV.*

3)- *Cagnat, R.,1913. P.44.*

المعلومات عن هذه الفرق في المصادر الرئيسية الكلاسيكية بينها والأثرية[1]، الأمر الذي يجعلنا نسلم لفرضية انتهاج الإدارة الرومانية لسياسة التغيب المتعمدة لهذه الفئة التي خدمت مصالحها.

ورغم اعتماد الجيش الروماني على هذه الفرق المساعدة منذ حلوله بإفريقيا وربما قبل ذلك بكثير تحت غطاء التحالف، وهو ما شهدناه مثلا في الدور الذي لعبته الخيالة النوميدية في كل من الحرب البونية الثانية بقيادة ماسنيسا[2] و أثناء الحرب الأهلية التي دارت ضحاها بإفريقيا المتمثلة في مساندة يوبا الأول لجيش بومبي الذي اعتبر الممثل الشرعي للإدارة الرومانية، وربما نفس الموقف كان عليه الملك يوبا الثاني في أثناء قيام حرب تكفاريناس التي تؤكد لنا المصادر التاريخية أنه، أي الملك شارك في الحرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمشاركة جنوده في الفرق المساعدة[3] .

وإذا كان حال الملوك أمثال ماسنيسا ومكبسا قد قدموا خدمات للجيش الروماني بهدف القضاء على قرطاجة بمحض إرادتهم نظرا للمصلحة المرجوة في الخطوات التي قدموا عليها في كلتا الحالتين وهي القضاء على الجار القرطاجي والاصطفاف إلى جانب الأقوى الذي هو الجيش الروماني، كما أقدم على ذلك بوخوس ملك موريتانيا إبان حرب يوغورطة لما عرض خدماته على القادة الرومان لكسب ودهم، و إن كانت خطوة بوخوس تختلف كثيرا عما أقدم عليه كل من الملك ماسنيسا ومكبسا لأن ما قام به الملكين أملته

1- *Cagnat, R. , 1913.p.262*
2- *Tite live , Histoire Romaine, I, XXX, Trad .Nisard, Paris.*
3- *Cagnat, R., 1913, P.08, 11*

ظروف التحالف بهدف واضح تمثل في إسقاط عدو اعتبر محتلا لأراضي أجدادهم، فيما اعتبرت خطوة الملك الموريتاني بوخوس خيانة ضد يوغورطة وتحالف مع المحتل الروماني[(1)] .

و إذا كان هذا هو شأن الملوك النوميديين في الفترة الأولى من التواجد الروماني في إفريقيا فإن الشك ينتابنا بشدة فيما يخص حرية تصرف الملوك النومديون، بعد هذا التاريخ لأن التأثير الروماني أصبح واضح جدا ، فمشاركة يوبا الأول في الحرب ضد قيصر بقواته وعتاده كان نتيجة تأثير أتباع بومبي نظرا لوضعية الملك الذي كان خائفا عن مصير مملكته بنجاح قيصر وبالفعل كان حدسه صادقا في ذلك بحيث تبينت نوايا قيصر بحل المملكة بعد انتصاره[(2)].

أما حال يوبا الثاني وابنه وبطليموس فلم يكونا أكثر من أتباع للإدارة الرومانية[(3)] وبالتالي لم يملكان السلطة على الأمر أو النهي في بعث جيوشهم لمقاومة الثوار من الأفارقة كلما احتاجت روما إلى مساعدتهم ومع مرور الوقت أصبحت كل الفرق المساعدة للفرق الرومانية تحت القيادة المباشرة لقائد الفرقة الأغسطية الثالثة وله تعود السلطة والأوامر التي يصدرها للفرق المساعدة والرتبة التي تمنح لضباط الفرق المساعدة[(4*)].

---

[1]) - *Salluste, Guerre de Jugurtha, CXI*

[2]) - *Pseudo César, Guerre D'Afrique, 97*

[3]) - – الناصري، م، ع.، *1991*، ص.*69*.

[4]) - *Cagnat, R.,1913. P.207*

والجدير بالذكر أن الفرق المساعدة في الجيش الروماني بأراضي إفريقيا لم تقتصر على الجيوش التابعة للممالك النوميدية وإنما شملت كذلك الفرق التي يؤتى بها من المقاطعات الأخرى وسبق أن ذكرنا الفرقة الاسبانية التاسعة[1] والخيالة الغاليين الذين شاركوا في مواجهة تكفاريناس من سنة 17 م إلى 24 م وكانت كلها إلى جانب الفرق النوميدية تحت سلطة البروقنصل الذي هو نفسه القائد الأعلى للفرقة الأغسطية الثالثة و تحت سلطة شخص الليغا بعد عام37م ونجد الفرق المساعدة تحت تسمية مليشيات اكو استري« *Milices équestres* » [2]

وهو الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن صفة الفرقة المساعدة تغيرت كثيرا بمرور الوقت إذ وبعد ما كانت هذه الفرق تستدعيها روما فقط عند الحاجة، مثلما حدث في قمع الثورات المحلية، والتي هي من الأصل إما قوات تابعة للملوك الأفارقة أو يؤتى بها من المقاطعات الأخرى التابعة لروما، فإن الوضع تغير وأصبحت صفتها شبه رسمية أو على الأقل ما يمكن أن نفهمه من خلال ما ذكره المؤرخون على أن هذه الميلشيات كانت تحت قيادة شخصية رومانية غالبا ما كانت تنتمي إلى فرقة الخيالة[3]

نستنتج من خلال هذه المعلومات أن روما بسطّت يدها على الفرق المساعدة بشكل مباشر، ويمكن إضافة فئة قدماء المحاربين إلى الفرق المساعدة للجيش الروماني في

---

*) *كما سبق و أن ذكرنا فان بعد سنة 37م انتزعت القيادة العسكرية من البروقنصل و خولت هذه المسؤولية لليغا"لمزيد من الإيضاحات حول الموضوع أنظر كانيا ص123 أو لوبواك ص 120 في العناوين المذكورة* أعلاه .

(1 – *Cagnat, R., 1913, P.13*

(2 – *Cagnat, R., 1913, P.265*

(3 – *Cagnat, R., 1913, P.265*

إفريقيا نظرا للمهام التي كانوا مكلفون بها والمتمثلة خصوصا بالدفاع عن تخوم المقاطعة الإفريقية، و مواجهات الثورات المحلية قبل وصول الفرق النظامية[1]، وفي الأوقات الصعبة يتم تكوين فيلق منهم يسمى بالفيلق الخامس[2] .

و المثير للانتباه أن فئة قدماء المحاربين التي استقرت في إفريقيا كانت خليط من الأجناس[3] التي عملت في صفوف الجيش الروماني في إفريقيا.

ولا يمكن لنا التأكد من استمرارية وضعية هؤلاء القدماء من المحاربين في ساحة القتال لأن ما ذكره ستيفان قزال كان استثناء في الحرب الأهلية[4]، إلا أنهم ساهموا في القتال ولو بطريقة غير رسمية في الصراع الذي خاضته الفرق الرومانية ضد الأفارقة، بحيث يذكر لنا تاسيت مساهمة قدماء المحاربين في وقف زحف قوات تكفاريناس في احد المستوطنات الواقعة في إفريقيا[5]، ولكن المؤكد أن سياسة كل من تعاقب على شؤون الجيش الروماني في إفريقيا هو إعطاء قدماء المحاربين قطع أراضي متخمة للحدود لاستغلالها بعد التقاعد عن العمل المسلح[6]، إما بسبب السن أو بسبب المرض وهؤلاء لعبوا دورا لا يستهان به في نشأة خط اللمس فيما بعد جنوب الأراضي الرومانية في إفريقيا وهو الأمر الذي أكده معظم المؤرخين والدرسين للجيش الروماني في إفريقيا[7] ويضاف إلى ذلك كما سبق وأن أشرنا إليه أن الجنود البالغين أكثر من 45 سنة إلى غاية

---

1)- *Cagnat, R., 1913, P.409*
2)– *Gsell, St., H.A.A.A.N,VIII, p .52*
3)- *Cagnat, R., 1913 , P.411*
4)– *Gsell, St., H.A.A.A.N, p .52*
5)- *Tacite, Annales, III, XXI.*
6)- *Cagnat, R.,1913, P. 410*
7)– *Cagnat, R., 1913, P.409*

السن 60 يعتبرون من الفيالق المساعدة التي لا يستعان بها إلا في الحالات القصوى، وإن بقيت تقدم خدمات هامشية للجنود المحاربين كتزويدهم بالحطب والماء والسهر على نظافة مراكزهم وحمل بعض الأمتعة، لكن و في كل الأحوال لا يمكن اعتبارهم من الفرق النظامية التي غالبا ما ينحصر دورها في تسيير المعارك والاحتلال.

وشأن الفرق المساعدة هو نفسه شأن الفرق النظامية فيما يخص القيادة وتسيير أمور هذه الفرق، أما التركيبة البشرية فهي تختلف كما أشارنا إليه سابقا باعتبار أن الفرق النظامية وعلى رأسها الفرق الأغسطية الثالثة التي تتكون من الجنود ذوي الأصول الرومانية بكل رتبهم، فيما تتكون الفرق المساعدة من خليط بشري من السكان المحليين والمستقدمين من كل أنحاء الإمبراطورية[1].

وبهدف السيطرة على هذه الفرق قامت الإدارة الرومانية بجعل تنظيم داخلي لها وبتوزيع مسؤوليات برتب مختلفة، وهي تتمثل في قيادة الفرق المساعدة والواجب ذكره في هذا المقام هو أن الفرق المساعدة مع مرور الوقت وباتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية اتخذت منح أقرب إلى المرتزقة منه إلى التنظيم العسكري المسيطر عليه ويضرب لنا كانيا مثال في هذا المجال بحديثه عن قائد أحد الفرق المساعدة الذي هو قائد عسكري برتبة كبيرة قام بإنشاء فرقة عسكرية خاصة به من قبيلة كان قائدها[2].

[1]- ورث، ت.، 2003، ص.44.

[2]– Cagnat, R., 1913, P.262

وربما كانت تلك التنظيمات العسكرية شبيهة بما هو حاليا من فرق تابعة لأمراء الحرب في الدول التي لا تملك حكومة مركزية قوية، وكان تواجدها إما بإيعاز من الدولة الرومانية بهدف ادخار مجهودها الحربي، لأنه من الواضح أن مثل هكذا مليشيات لا تكون الدولة مسؤولة عن نفقاتها العسكرية و لا على تدريبها وتموينها وبناء مراكزها، في حين تقدم لها خدمات جليلة في الحد من التمرد المحلي وحماية أملاك الدولة[1] ؛ وإشعار المستوطنين الذين ينتشرون في ربوع المقاطعة الرومانية بالطمأنينة، وربما انتشرت هذه المليشيات في ربوع المقاطعة[2] .

ومن جانب آخر لا يمكن استبعاد ظهور هذه الفرق الغير النظامية إلى حالة أللأمن التي انتشرت في إفريقيا في فترة من فترات التواجد الروماني فيها إما بسبب الهوان الذي أصاب الدولة جراء الظروف المعقدة التي مرت بها وبالتالي سمحت هذه الظروف لظهور ما يمكن تسميته قادة مستقلين، يترأسون مجموعات مسلحة شبهها كانيا بالمليشيات المتواجدة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر والمتكونة من الأهالي[3]، لكن كانت مساهمتها كبيرة جدا في ضمان السيطرة عن هذه المناطق باعتبارها اليد الطويلة للإدارة الرومانية، هذه الفرق التي كثيرا ما تمكنت من السيطرة على مناطق داخلية وجبلية اعتذرت على الجيش النظامي لمدة طويلة من الزمن[4]، وربما قامت الإدارة الرومانية في

1) - *Cagnat, R., 1913, P.269*
2) - *Cagnat, R., 1913, P.271*
3) – *Cagnat, R., 1913, P.261*
4) - Cagnat, R., 1913, P.261

استدعائها عند الحاجة بما أن هناك من المؤرخين من تحدث عن التواجد الكثيف للجنود المور في حروب روما الخارجية[1] .

و إذا كان هذا هو شأنها في الحروب الخارجية، فإن دورها يبدو بالأهمية ما كان في الأمور الداخلية كما قلنا سابقا والشرط الوحيد هو فرض الرقابة على قائدها وضمان ولائه للحكومة المركزية[2]، لأن مهما كان التنظيم العسكري تابع للدولة الرومانية يبقى خطرا محدقا على السيطرة الفعلية للدولة المركزية ما يدفعنا إلى التساؤل حول الظروف الحقيقية التي سمحت لظهور هذه المليشيات إذ لم يكن هناك مبالغة في وصف المؤرخين لاستقلاليتها غير أن هذه الأمور، لا يمكن تأكيدها بقدر ما يتعذّر علينا نفيها نظرا لقلة المعلومات المتوفرة عنها ويظهر لنا أن تواجدها وإن كان أمر واضح في القرون التي تلت القرن الأول ق .م فإن الحال ليس نفسها في نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي ولو افترضنا تواجدها فإنها قليلة جدا أي أنها ظاهرة غير مستشرية في النظام والمجتمع الروماني والمحلي إلى حد أنها لم تستجاب إليها بقوة أنظار المؤرخين واللوحات المنقوشة المخلدة للأعمال الهامة[3].

و ذا كان ما ذكرناه هو الدور الذي لعبته القوات البرية الرومانية في إفريقيا بفرقها الرومانية والمساعدة، فما هو الحال الذي كانت عليه القوات البحرية الرومانية في إفريقيا؟

---

1) - *Cagnat, R., 1913, P.268*
2) – Cagnat, R., 1913, P.267
3) – *Cagnat, R., 1913, P.262*

2- التنظيم البحري للجيش الروماني في إفريقيا

- تاريخ البحرية

عرف الرومان الأساطيل الحربية منذ القرن الثالث ق.م نتيجة المواجهات التي جمعتهم ضد القرطاجيون في حروبهم الطويلة بهدف السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، إذ كان القرطاجيون إلى ذلك الحين أسياد البحر المتوسط[1] ولا مجال للمقارنة بينهم و الرومان في هذا المجال بحيث أن الايطاليين لم ينزلوا إلى البحر قبل هذه المواجهات[2]، أما القرطاجيون فقد باع صيتهم في كل جزر وموانئ البحر المتوسط منذ قرون عدة وحسب ما يذكره لنا بوليب *(Polybe)* في كتابه التواريخ[3]، فإن عملية التخريب التي كانت تطال شواطئ إيطاليا من طرف البحرية القرطاجية هي التي حسمت أمر النقاش الدائر داخل مجلس الشيوخ الروماني حول الدور الحيوي في إنشاء قوة بحرية من دونها[4]، وفي الأخير ثبت الرأي على إنشاء قوة بحرية رومانية وعدها بوليب في أول الأمر بمائه *100* سفينة حربية خماسية المجاذف و*20* سفينة ثلاثية المجازف [5]

ويروي لنا بوليب كيف أن الرومان استغلوا فرصة جنوح أحد السفن الحربية القرطاجية إلى الساحل الايطالي ليأخذوا منه نموذج لصناعتهم للأسطول البحري[6] ؛

---

1) – *Polybe, Histoire, I, P.22, Trad. Denis Rossel*
2) -*Dion Cacius, 1845, Histoire Romaine, I, CXLVI. Trad. Gros, E., Paris.*
3) – *Polybe , I.p.22*
4) – *Polybe , I,p.22*
5) – *Polybe ,I,p.22*
6) – *Polybe ,I,p.23*

وما هي إلا فترة وجيزة حتى أصبح الرومان ندا بحريا لخصومهم إذ لم يكتفوا بتقليدهم بل طوروا أساليب جديدة في المعارك البحرية و بعد ذلك حققوا انتصارات باهرة ضد القرطاجيون أسياد البحار سابقا وتمكنوا تحت قيادة رغولوس*(Regulus)* بإنزال قوات من الفيالق الرومانية على الشواطئ الجنوبية من المتوسط[1] .

وربما لأول مرة في تاريخ الرومان فكروا فيها في نقل الحرب خارج مناطق نفوذهم جنوب ايطاليا والجزر القريبة، وهذا الأمر يستحق الكثير من التأمل في سرعة تطوير الرومان لقدراتهم البحرية في وقت قياسي لم يكن متاحا لشعوب أخرى قبلهم وان كان بوليب قد أوعز ذلك إلى الدهاء الشديد للفرد الروماني، إلا أن ما لشك فيه هو مبالغة هذا المؤرخ الشهير في مدحه لشعب الروماني ، رغم ذلك فإن الشيء الذي لا يختلف فيه عاقلان هو سرعة تأقلم الرومان بميدان حديثي العهد به[2].

غير أن الأوضاع السياسية القائمة آنذاك في حوض المتوسط كانت وراء هذه النتائج المذهلة التي حققها الرومان الذين ما لبثوا في اكتشاف البيئة المحيطة بهم حتى فتحت لهم الشهية في التوسع والمغامرة والسيطرة على خيرات المتوسط ، متذرعة في ذلك بالخطر القرطاجي وربما صدق قول المؤرخ الفرنسي فرنسوا دوكري بقوله: *"لقد أخطأت قرطاجة في أن كانت عظيمة في اللحظة التي كانت فيها روما تنموا و تتسع"* ؛ والملفت للانتباه أن الطبيعة الجغرافية لمنطقة البحر المتوسط وكذا ايطاليا نفسها التي

---

1) – *Polybe, I,P.34*
2) – *Polybe,I,P.22*

تعتبر شبه جزيرة تمتد على سواحل شاسعة ورأس صخري ضرب في أعماق البحر المتوسط ، فقربه من الأراضي الإفريقية أكثر مما هو إلى قلبه النابض في روما .

هذه الميزة لها الدور الرائد في تطور البحرية الرومانية منذ الوهلة الأولى لاكتشافها وكذلك ساهمت هذه السواحل الطويلة في دفع المسؤولين الرومان إلى ضرورة توفير الحماية لرعاياهم القائمين على أتون هذه الشواطئ، لأن المؤكد منذ الأزمنة الغابرة هي أن الأهداف المعلنة في الحروب ما هي إلا قناع للأهداف الاقتصادية[1]، وبالتالي فإن الرومان لم يحيدوا عن هذه القاعدة بل كانت حافزا لهم في مواصلة حربهم ضد قرطاجة، ومهما كان من أمر فإن الرومان اجتمعت لهم الظروف لإنشاء أسطول حربي ربط علاقتهم بالعالم الخارجي إما سلما وإما حربا، وعلى امتداد الحروب الرومانية القرطاجية لعب الأسطول الحربي الروماني دور بارزا فيما تحقق لهم من انتصارات دفع القرطاجيون إلى خارج مناطق نفوذهم التقليدية في جزر المتوسط وسواحل أوروبا إلى أن بلغ الأسطول الحربي الروماني الذروة مع منتصف الحرب البونية الأولى في سجال الانتصارات والهزائم بين الفريقين القرطاجي والروماني، إذ تعج روايات المؤرخين القدماء والمحدثين منهم بأسماء المعارك البحرية في المتوسط على امتداد الحرب البونية الأولى من معركة ميليس أكنوم لتختم السلسلة بمعركة جزر أيكات

---

1) – *Polybe , I, p.30*

الشهيرة (*Agates*) *241 ق.م* التي حسمت بها روما الحرب لصالحها بأسطول قوامه *300* سفينة على ما يذكر بوليب[1].

وبعد عقدين من الزمن قاد القنصل تبيريوس سومبرنيوس لونغوس *(TIBIRIUS (SEMPRONIUS LONGUS* أسطول من *160* سفينة إلا إفريقيا مع بداية الحرب البونية الثانية، ويذكر لنا تيت ليف[2] أسطول من *40* بارجة بحرية و*400* باخرة نقل الجنود في عملية نقل القائد الروماني سيبيون لجيشه إلى إفريقيا في صيف *204 ق.م* وأسهب *تيت ليف* في وصف هذه القافلة الضخمة التي نقلت الجيوش الرومانية إلى إفريقيا وحملها معها كل ما يلزم لهم من سلاح وخيالة ومؤن لمدة *45* يوم[3] ، و في الحرب التي قادتها روما في منطقة أرمينيا يذكر لنا المؤرخ تاسيت أسطول من ألف سفينة حربية بقيادة تبيريوس *(Tiberius)*[4] في بداية القرن الأول الميلادي.

و المشهد الذي وصفه المؤرخ تيت ليف يعطي لنا فكرة على القوة البحرية الرومانية التي كانت قد اتجهت إلى إفريقيا، وبدون شك مهدت للوجود البحري الروماني في شواطئ إفريقيا لمدة طويلة من الزمن لم يتلاش وجودها إلى بانهيار الإمبراطورية الرومانية على بعد ستة قرون من هذه الفترة، ومن البديهي الاعتقاد أن هذه البحرية لعبت

1(– *Polybe, I,p.64,65,66,67*
2(– *Polybe, I, 4 ;Tite-Live , XXIX, 26, 03*
3(– *Tite Live, XXIX, 25,10*
4(– *Tacite, Annales, II, XXIII*

نفس الدور في الحرب البونية الثالثة[1]، وحرب يوغورطة ومن المنطقي الاعتقاد أن البحرية الرومانية في إفريقيا استعملت الموانئ التابعة للخصوم المغلوبون على أمرهم أو لتك التابعة لحلفائهم النوميديين أول الأمر، وربما قامت ببعض التعديلات الطبيعة عليها للتناسب مع أسطولها إذ أن أغلب الموانئ البحرية المتواجدة في المنطقة لا تزال تقريبا نفسها إلى اليوم رغم تعاقب العديد من الحضارات ومرور قرون من الزمن عليها، ولا شك أن الكثير منها تم توسيعها، كما استجدوا البعض الآخر في مناطق مختلفة على سواحل المتوسط الجنوبية.

ومع نهاية حرب يوغورطة سنة *105 ق.م*[2] قلّ دور البحرية الرومانية بشكل كبير في إفريقيا ولمدة طويلة من الزمن بحيث تلاشت أسباب تواجده إلى حد كبير خاصة مع تراجع أعمال العنف في المنطقة، وكذلك انشغال القوات الرومانية في مناطق أخرى من العالم القديم وبالتالي تركيز قواتها البحرية هناك، لأن بعد سقوط قرطاجة لا يوجد أي احتمال لإنزال قوة بحرية عدوة على ساحل إفريقيا نظرا لانعدام وجود أعداء قادرين على المجابهة ، وبالتالي فإن الأمر لا يستدعي حشد قوات بحرية في منطقة لا حاجة لها إليها.

ولكن هذه الأوضاع تغيرت كثيرا في غضون الحرب الأهلية التي شاهدتها روما في المنتصف الثاني للقرن الأول ق.م في شطرها الإفريقي إذ حشد كل من الفرقين المتحاربين (البومبيين و القيصريين) قدر ما استطاعا من السفن الحربية إلى المنطقة حيث

Gsell,S t., H.A.A.N, III,p.343 -(1

Salluste ,Guerre De Jugurtha – (2

أسهب المؤرخ غزال في كتابه عن تاريخ شمال إفريقيا[1] في الحديث عن ذهاب وإياب البوارج الحربية التابعة للفرقين، قبل بداية الحرب إذ قدر عدد السفن الحربية بالعشرات و هو العدد الذي ذكره مؤرخ "الحرب الإفريقية" المنسوبة إلى قيصر[2] .

ونستخلص أنها تزايدت بمرور الوقت مع قرب ساعة الصفر للصدام بينهم إذ اكتفى أول الأمر بذكر عشرة سفن لإتباع بومبي راسية في ميناء أوتيكا كما انتقلت 12 أثني عشر سفينة حربية مع قوات القائد كوريون(curionne) بهدف حماية القافلة الناقلة للجنود والمؤن[3] لكن سرعان ما تطور هذا العدد إلى المئات من السفن الحربية التي تهاطلت على المنطقة ناقلة معها ألاف الجنود البحارة منهم و المشاة إلى مسرح العمليات ، حيث في سنة *46 ق.م* قاد القائد البومبي فروس*(varus)* أسطول من *55* سفينة حربية على شواطئ تنس الحالية، كما عبرت *100* سفينة حربية تابعة لقوات قيصر المتواجدة في اسبانيا إلى شواطئ إفريقيا لدعم أتباعهم[4] .

وإذا كان هذا هو حال البحرية الرومانية في أوقات التوتر فإن ما لشك فيه أن أوقات السلام الطويلة التي أعقبت الحرب الأهلية إذا استثنينا ثورة تكفاريناس أدت إلى تراجع البحرية الرومانية في إفريقيا، لعدم الحاجة إليها[5] كما سبق وأن ذكرنا لغياب

[1] *Gsell, St., H.A.A.N, VIII-(*
[2] *Pseodo César, La Guerre D'Afrique، XXIII – (*
[3] *Gsell, St., H.A.A.N, VIII, P. 09 – 10 …. 54 - (*
[4] *Gsell, St., H.A.A.N, VIII – (*
[5] *Cagnat, R., 1913 P,279 – (*

أعداء يملكون قوة بحرية، وبذلك اقتصر دورها في حماية القوافل العابرة إلى ايطاليا من قراصنة المتوسط[1].

ذهب كانيا أبعد من ذلك عندما اعتبر أن إفريقيا لا تملك أسطول خاص بها[2] وترك لنا الانطباع أن الأساطيل الأخرى التابعة للإمبراطورية في المناطق البعيدة هي التي تستدعي في أوقات الحاجة لسد الفراغ القانوني في إفريقيا وخص بالذكر أسطول الإسكندرية وسوريا[3]، لكن هذا الأمر لا يلغي التواجد الكلي للأسطول الإفريقي باعتبار أن القوات المنتصرة في الحرب الأهلية وجدت سفن حربية في ميناء أوتيكا كما ذكر لنا هذا ستيفان قزال كما أن تشارلز ورلث اقر بصغر حجم البحرية الرومانية في إفريقيا دون أن يلغي وجودها[4].

يبدوا لنا من المنطقي الأخذ بما ذكره المؤرخ الانكليزي تشاردز ورث[5] في وصفه للأسطول الإفريقي بالصغير للأسباب نفسها التي ذكرناها أنفا وفي أغلب الأحيان كانت تتكون من سفن صغير وسريعة لتنفيذ مهمات الدوريات العادية في سواحل إفريقيا ومحاربة القراصنة، ولم يكن الأسطول الإفريقي على الأرجح يملك السفن الحربية الكبيرة كما كان عليه حال الأساطيل الأخرى الموكلة بحماية سواحل شرق المتوسط في الإسكندرية وسوريا، وأسطول بحر إيجة نظرا لحالة التوتر القائمة في هذه المناطق[6].

---

1) – *Cagnat, R., 1913 P,275*

2) - *Cagnat, R., 1913 P, 262*

3) -*Cangnt, R., 1913, p.277*

4) - – *Gsell, St., H.A.A.N , VIII,p12,*؛ ورث،ت، 2003، ص.52.

5) – ورث،ت.، 2003. ص .53.

6) – *Cagnat, R., 1913. P. 277*

2- تنظيم البحرية الرومانية في إفريقيا

إذا كان الجيش الروماني في بداية مغامراته البحرية لا يملك ما يكفي من الحيلة في صنع وتسيير الحملات البحرية وهو ما دفعه لاستعانة بأقوام عديدة في هذا المجال على غرا الإغريق ومرتزقة قرطاجيين[1]، فإن الأمر لم يتغير كثيرا مع مرور الوقت إذ تبين أن أغاب جنود البحرية الرومانية من جنسيات مختلفة أما المجاذفين فكما كانوا في أول الأمر من العبيد نفهم أنهم بقوا على حالهم وهذا الأمر يترك لنا الاعتقاد أن الأسطول الذي شغل شواطئ إفريقيا أسطول لم يختلف كثيرا عن أقرانه في المناطق الأخرى، وربما الاختلاف الوحيد فيه أن الجنود الغاليين والمصرين في المناطق الأخرى، تم تعويضهم بجنود من الأهالي النوميديين[2].

وإن لم تكن البحرية خالية من الرومان لكن عددهم قليلا جدا، وفي معظم الأحيان تحكموا في المسؤوليات العليا كقادة للبحرية و ابرز قادة البحرية الرومانية كان دون شك تبيريوس كلوديوس نيرو الأكبر*(tiberius Clodius Néron le grand)* ،الذي قاد الأساطيل الرومانية في جيش قيصر خلال الحرب الأهلية في إفريقيا[3] ،وهو والد الإمبراطور تبيريوس*(tiberius)* الحاكم بين سنة *14*م وسنة *37*م[4].

---

1)- أيوب، إ.، 1996، التاريخ الروماني، ص.120 .لبنان.

2)– Cagnat, R., 1913. P.279

3)- ماسون،إ.، 1985الإمبراطور تبيريوس،،تعريب ،جمال السيّد،.القاهرة ، ص16.

4)- ماسون،إ.،1985 ص.

نظرا للحالة الخاصة للبحرية الرومانية في إفريقيا فإن أغلب المؤرخين لم يذكروا العدد العامل من الجنود فيها ربما لقلة المعلومات كما ذكرنا ، واكتف كانيا[1] بذكر بعض القادة البحريين الذين دافعوا على شواطئ إفريقيا وعلى الأغلب لم يكونوا من أبناء المنطقة ولا من الرومان كما تعبر عليهم أسمائهم التي توحي إلى انتماءاتهم الشرقية والأمر لم يختلف بالنسبة لجنود البحرية الأقل رتبة[2].

- *موانئ البحرية*

كما ذكرنا سابقا فإن البحرية الرومانية في إفريقيا استغلت الموانئ المتواجدة حين وصولها إلى المنطقة وبداية استقرارها[3] ، ولا يخفى عن أحد أن الموانئ البحرية تتحكم فيها في أغلب الأحيان العوامل الطبوغرافيا أكثر منها العوامل البشرية ولذلك فإن مواقع وأعداد الموانئ لم يتغير بكثير على ما هو قديما في سواحل المتوسط الإفريقية[4]، و لعل أشهر هذه الموانئ، هو ميناء أوتيكا القرطاجي وميناء شرشال وبجاية وميناء بونة (عنابة) ولا تزال بنفس الأهمية إلى يومنا هذا[5].

وفي أغلب الضن، فإن البحرية الرومانية قامت بتوسيع أو إصلاح هذه الموانئ لتتأقلم مع أسطولها، ويجدر بنا الذكر أن أغلب هذه الموانئ كانت تجارية قبل أن تخصص منطقة منها للبحرية الحربية كما كان عليه الحال في ميناء شرشال وقرطاج،

---

1) – *Cagnat, R. , 1913. P.277*
2) - *Cagnat, R., 1913. P.277.*
3) – *Cagnat, R., 1913, P.277*
4) – *Cagnat, R., 1913, P.276.277*
5) –- *Cagnat, R., 1913,P.277*

ونعلم من خلال ستيفان قزال[1] أن الفرق التابعة لقيصر قامت بإصلاح ميناء أوتيكا بمجرد وصولها إلى المنطقة.

كما ذكر لنا كانيا الإصلاحات التي وقعت في كل من ميناء قرطاجة شرشال ولا نستبعد ذكره لنا لحجم الموانئ الإفريقية التي كانت صغيرة ولا تصلح كثيرا لاستقبال السفن الكبيرة هو السبب الذي كان وراء الحجم الصغير للبحرية الرومانية في هذه المنطقة[2].

ولا يمكن أن نغفل عامل تأثير الزمن على هذه الموانئ إذ كما أشرنا فإن أغلبية هذه الموانئ القديمة نفسها التي بقيت إلى اليوم وبالتالي فإن الآثار التي تميز هذه الموانئ الرومانية اندثرت مع الوقت بفعل الإصلاحات والتوسعات التي قام بها الغزاة اللاحقون لهذه الفترة ولهذا تعذر علينا الوصول إلى معلومات وافرة عنها، إذ لم نقل تنعدم في الكثير من الأحيان، فالأرقام التي اعتمدها كانيا نفسه لم تكن سوى نتيجة الاكتشافات التي توصل إليها الخبراء الفرنسيون في عام *1843* م أثناء قيامهم بتوسيع هذه الموانئ وخص بها ذكر كل من ميناء شرشال وبجاية و قرطاجة [3].

والشيء الذي يمكن لنا تأكيده من خلال المصادر التاريخية هو أن الموانئ البحرية الحربية كانت تنقسم بدورها إلى قسمين، الميناء الخارجي الذي ترصوا فيه السفن وميناء داخلي يستعمل في حالة الحروب والعواصف الشديدة لحماية السفن من الدمار وهذا

---

1) – *Gsell, st ., H.A.A.N, VIII, p.09*

2) - *Cagnat, R., 1913, P.278*

3) – *Cagnat, R., 1913,P.281*

الأخير كان يحتوي على بوابة ضيقة بقدر ما تسمح للسفن بالدخول، ويغلق غالبا بالسلاسل أو بستاري خشبية.*(أنظر الشكل 05)*.

- *أنواع السفن*

أما فيما يخص السفن التي كانت بحوزة البحرية وحجمها فلم يكن ما يؤكده في المصادر التاريخية لكن عدم استقرارها هي السمة المميزة للسفن الحربية وأعدادها، إذ أن المعرفة المسبقة أو الاعتقاد الواضح بأن البحرية الرومانية في إفريقيا صغير يعطي لنا نظرة واضحة حول هذا الأمر، وكل ما ذكره كانيا في هذا المجال هو احتواء البحرية الرومانية على سفن ثنائية المجاذف[1] ومركبات صغيرة الحجم لا تتعدى أحجامها خمسين مترا في الطول وستة أمتار في العرض بالنسبة لأكبر فيها وفي كل السواحل لم يذكر المؤرخون أعداد السفن الموجودة بأكثر من *عشرين* سفينة حربية صغيرة كانت أم كبيرة والتي لعبت دور الدفاع عن المقاطعة الإفريقية ومحاربة القراصنة[2].*(أنظر الشكل 06)*

في ختام الفصل يمكن القول أن الجيش الروماني في إفريقيا كما رأينا بكل تشكيلاته من الفرق النظامية والغير النظامية والقوات البحرية، تمكن من السيطرة على منطقة شاسعة جدا هي الأراضي التي امتدت على طول سواحل المتوسط إلى المناطق الداخلية، وتمكن في فترة ليست بالطويلة جدا، من فرض السلم الروماني فيها، وإخضاع الممالك المحلية، وإطفاء نار الثورات العديدة التي واجهته منذ دخوله المنطقة، وتكييف

---

1)- *Cagnat, R., 1913 ،P262.*

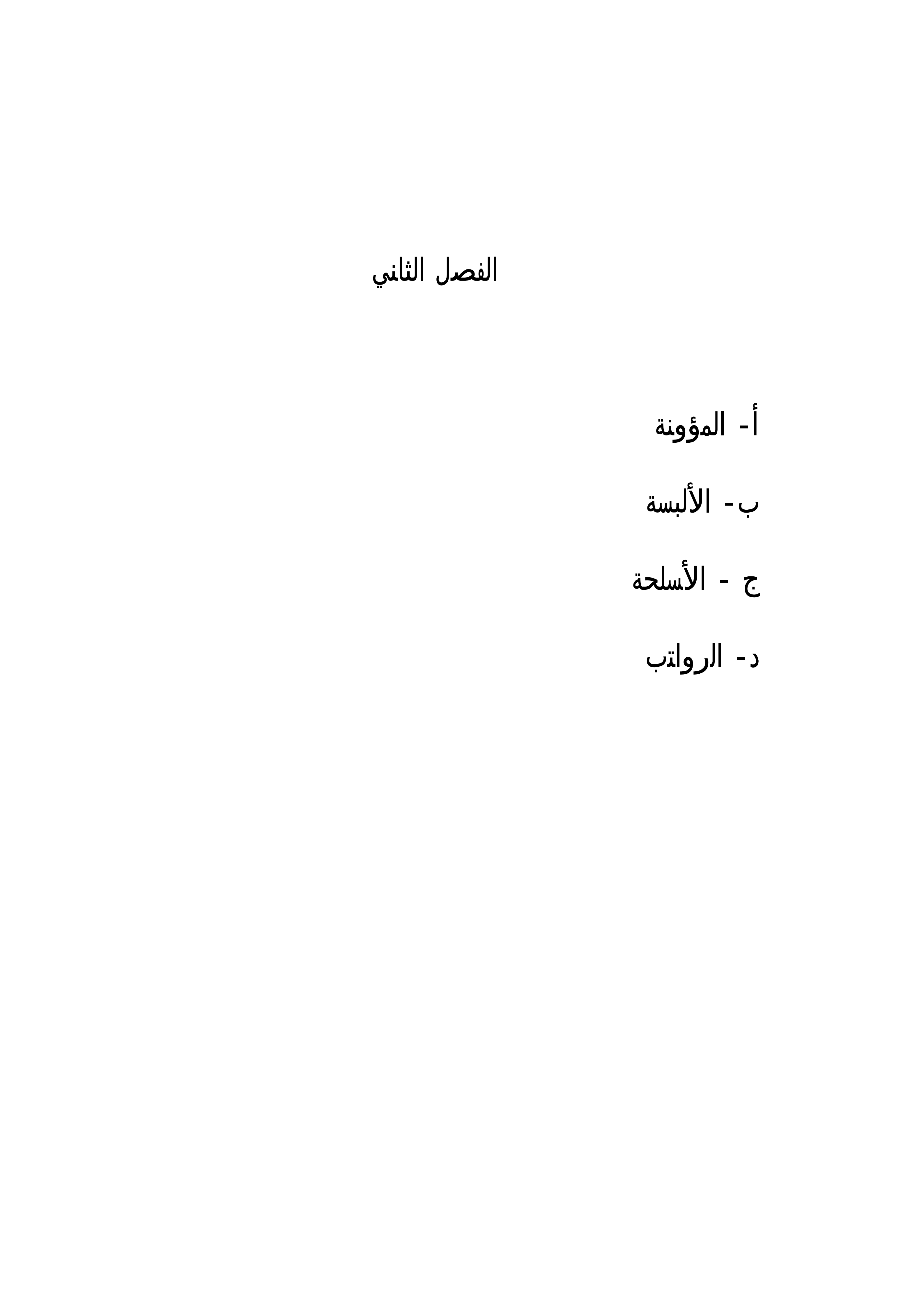
2)- *Cagnat, R., 1913, P.284*

جغرافية المنطقة بما يخدم مصالحه الوطنية بالإصلاحات التي فرضها على الطبيعة التي كثيرا ما عبرت عن عبقرية المهندس العسكري الروماني الذي أثار إعجاب كل من اطلع عليها بحيث أصبحت قدوة ومثال يقتاد بها الغزاة اللاحقون لهذه الفترة.

فالانتصارات التي حققها هذا الجيش لم يكن بالأعداد الكبيرة في أغلب مراحله مثلما تأكدنا منه من خلال شهادة المؤرخين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إيصال هذه الأخبار إلينا، و التي تجعل من القارئ والباحث يطرح الكثير من التساؤلات التي تبدو لنا شرعية في نضره، فالأمر ليس سهلا بما كان على جيش لا يتعدى قوامه بعض الفيالق والعديد من السفن الحربية الانتصار وفرض السيطرة على ممالك وثوار أشداء في أرض تبدوا غريبة عنه أول الأمر، فبالتالي السر في هذا النجاح لا يعدوا أن يكون في التنظيم الدقيق الذي اتصفت به الفرق الرومانية المحاربة على غرار ما هو معمول به في مختلف جيوش الإمبراطورية، والمسلم به أن أي جيش قديما وحديثا يعزى تنظيمه المحكم إلى الإدارة المسيرة فيه. وحزمة القوانين التي تحدد مهام كل فرد من أفراده، وهو ما لم يكن ينقص الجيش الروماني، و هو ما نحاول دراسته من خلال الفصل الثاني لهذا البحث المخصص لتنظيم اللوجستيكي للجيش الروماني في إفريقيا ، الدقة التي كان عليها في تسيير أموره و التي صنعت سر نجاح الجيش الروماني على خصومه.

الفصل الثانـي

التنظيم اللوجستيكي للجيش الروماني



الفصل الثاني

أ- المؤونة

ب- الألبسة

ج - الأسلحة

د- الرواتب

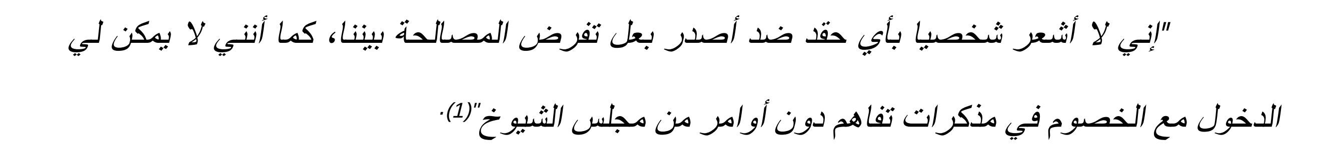
إن الانضباط والتنظيم الدقيق في أركان الجيش الروماني وصل حدا لا نظير له في كل جيوش العالم القديم، وأصبح مثال يقتاد به من طرف كل الشعوب، ففي الوقت الذي كانت معظم جيوش وقتها تخوض الحروب بشيء من النزعة البدائية والانتقام، وغالبا ما تكون هذه الجيوش مجموعة غير متلاحمة من الجنود بقيادة زعيمهم ، فهي أقرب من أن تكون مجموعة مرتزقة منه إلى جيش منظم، ولذلك فإنهم اندحروا في أول مواجهة لهم مع جيش منظم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، جيش كان قوامه التشريعات المسيرة لشؤونه والقيادة الشرعية التي لم تكن أبدا زعامة(1).

إذ عرفنا أن القائد يعينه الشعب ومجلس الشيوخ ولمدة محدودة لا يمكنه في أي حال من الأحوال الخروج من إرادتهم، ولا يمكنه التعدي على الصلاحيات المخولة له، والتاريخ يعطي لنا عبرة في هذا التصرف الحضاري العظيم في زمن كانت القوة والعبودية هي المقياس الوحيد، فلما نزل القائد الروماني الكبير سيبيون الإفريقي ضيفا عند الملك النوميدي سيفاكس في أعز الحرب البونية الثانية، وجد في نفس مقامه، القائد القرطاجي أصدر بعل ضيفا ولنفس الهدف المتمثل في استمالة الملك كل طرف إلى جانبه، طلب الملك سيفاكس من القائد الروماني سيبيون عقد معاهدة صداقة مع صدر بعل(2) فكان رد سيبيون كالآتي:

---

(1) - Le Bohec, Y.,1989, p.119.

(2) -قزال، س.، 2007، ج، 3، ص.186.



"إني لا أشعر شخصيا بأي حقد ضد أصدر بعل تفرض المصالحة بيننا، كما أنني لا يمكن لي الدخول مع الخصوم في مذكرات تفاهم دون أوامر من مجلس الشيوخ"[1].

ونفسه حال القائد الكبير بومبي الذي ارتقى في الإدارة الرومانية واحتل مكانة وصلت حد التقديس، بسبب أعماله الجريئة، لكن كل ذلك لم ينفعه لما تصرف بدون إذن مجلس الشيوخ الروماني وهو على رأس جيش ضخم لتنفيذ مهمة عسكرية شرق المتوسط، لكنه تجرأ على نقل جنوده إلى أراضي لم يكن مخول له دخولها، فاعتبر نصره في سوريا غير شرعي ولم يعترف له بهذا المجهود.

إذا كان هذا حال إحدى أكبر وألمع القادة في تاريخ روما وعلى مسؤولية كبيرة وتحت تصرفهم آلاف الجنود، لم يتمكنوا من فرض إيراداتهم رغم المكانة المرموقة التي يحتلونها في الوسط السياسي والشعبي يعطي لنا برهان حيا عن قوة النظام الروماني الذي يتصف بالمشروعية والمصداقية إلى حد كبير تفتقده حتى أعظم الأمم في زماننا هذا، وان كان تصرف القائد سيبيون ينبع من انضباطه الشديد وشرفه العسكري ، فإن القانون الروماني وضع لردع تصرفات مماثلة لتصرف بومبي، وهو ما عبر عنه تاسيت بقوله:

" إن الشرف العسكري واحترام العهود والخضوع للقائد، وبصفة عامة الانضباط المتبع من الضباط والجنود هو السرّ في نجاح الجيش الروماني"[2] ويستطرد تاسيت في كلامه ويقول *:" لقد سيطر الرومان على العالم بفعل عبقريتهم وانضباطهم وروح الجماعة"*[3].

---

[1]) - قزال،س. ،2007،ص.186.

[2]-) Tacite, II, 26.

[3]-) Tacite, I ,26.

والأمثلة في التاريخ القديم كثيرة حول مواقف الجيش الروماني، وبدون شك عندما نتكلم على الجيش الروماني بصفة عامة فإن الأمر ينطبق على الجيش الروماني في إفريقيا لأنه جزء لا يتجزأ من جيش الدولة الرومانية و لا شك أيضا أن نفسها القوانين التي تسيرها، فالكل يخضع للأوامر الصادرة في روما، إما من طرف السيناتور في العهد الجمهوري أو الإمبراطور في العهد الإمبراطوري[1].

إن الجيش الروماني المتمركز في إفريقيا ومنذ وصوله عقب سقوط قرطاجة *146 ق.م*[2]، كان تحت التصرف الكامل لمجلس الشيوخ الروماني والقوانين المسيرة له، فكان قائده الأعلى برتبة بروقنصل في العهد الجمهوري وبرتبة الليغا في العهد الإمبراطوري ، فيعين الأول من طرف مجلس الشيوخ والثاني من طرف الإمبراطور شخصيا[3]، وبالتالي يحاسب على كل ما يقوم به باعتباره المسؤول الأول عن الجيش الإفريقي، فالعقوبة تطله بمجرد الإخلال بأوامر رؤسائه، والإجازة تكون من نصيبه تشريفا له على انتصاراته[4].

ويبدوا لنا أن أحسن مثال يمكن تقديمه في هذا المقام هو حرب يوغورطة التي خاضتها الجيوش الرومانية في المغرب القديم بين *111 ق.م* و *105 ق.م* ، وفيها أحسن الأمثلة على ما كنا نتكلم عليه من انضباط واستقامة، والتصرف بمسؤولية عالية ضمن ما تخوله الأوامر الصادرة من الإدارة العليا في روما، ومع بداية الحرب التي قادها

---

1)- *Le bohec, Y., 1989, p.119.*
2)- *Gsell, st .,H.A.A.N , VII, p.1.*
3)- *Le bohec, Y ., 1989, p.120.*
4)- *Cagnat, R ., 1913, p.6*

البروقنصل المعين من طرف مجلس الشيوخ الروماني لقيادة هذه الحرب وهو كلا برنيوس بيستيا BESTIA) (CALPURNIUS ومساعده سكا ورو(Scauros) ; بحيث اتهموا حسب ما يرويه سالوست بالتفاهم مع العدو دون أمر من مجلس الشيوخ و كذا قبول رشوة غير مبررة من طرف يوغورطة[1]، وبالتالي طالتهم محاكمات علانية في روما وتعرض العديد ممن شاركوا في هذا العمل أللأخلاقي في نظر الشرف العسكري الروماني إلى عقوبات صارمة وصلت حد النفي للبعض منهم، وبالمقابل تم تشريف القائد ماريوس الذي أنهى الحرب في مواكب نصر عظيمة وسط روما، وبالتالي فالإدارة الرومانية كانت إدارة مركزية تفرض الانضباط على جميع المقاطعات والولايات التابعة للإمبراطورية، ولم تستثنى من ذلك ولاية إفريقيا .[2]

والمفهوم أن الدولة الرومانية تملك تشريع شامل للحياة المدنية والعسكرية، يحدد السلطات المخولة لكل المسؤولين وكذلك السكان البسطاء وكل أفراد الجيش، وهو بذلك يعتبر مشابها للدساتير الوطنية في الوقت الحاضر، وإن كان الاعتقاد بصرامة هذا التشريع إلاّ أننا لا نستبعد حدوث خروق له أو تغيرات طفيفة ليتأقلم مع خصوصيات كل ولاية أو فترة ولنا في تعيين فابيوس ديكتاتورا بعد معركة ترازيمان في 218 ق.م خير دليل على التغييرات الاستثنائية رغم أن النظام القائم آنذاك كان هو النظام الجمهوري[3]

.

---

[1] –(*Salluste, Guerre de Jugurtha, XXIX.*

[2] –(*Le bohec, Y., 1989, p.119.*

[3])-.أيوب ، إ .،1996،ص،129. *Guillemin, 1858, Histoire Ancienne, t. II, Paris. P.220*

وبعد هذه النظرة العابرة عن مختلف الأدوار التي لعبتها الإدارة والتشريعات الرومانية في تسيير الحياة اليومية للمواطن الروماني ورعاياه في الولايات البعيدة وكذا شؤون الجيش الذي نحن بصدد دراسته، كان هدفنا من هذا التقديم لهذا الشطر المهم في تاريخ الدولة الرومانية هو تسليط الضوء على السر الذي كان وراء نجاح هذه الأمة في فرض سيطرتها على العالم القديم، وكما تبين لنا فإن الانضباط والتحكم في قوانين الدولة أوجد نظام صلبا فتح أبواب التاريخ أمام هذه الأمة التي كانت تعتبر جيوشها وسيلة في إيصال هذا النظام إلى ربوع العالم المختلفة[1].

لم يكن الجيش الروماني المستقر في ولاية إفريقيا لينجح لولا هذا النظام الشامل الذي حدد بأدق التفاصيل حقوق وواجبات كل المنتمين إليه في إفريقيا، وهو ما نحاول التطرق إليه في هذا الفصل بشكل من التعمق لنفهم دور الإدارة المحكمة في تسيير هذا الجيش وإنجاح مسعاه في فرض سيطرته على أعدائه.

سبق لنا وأن تطرقنا في الفصل الأول من هذه الدراسة لمختلف الفرق المكونة للجيش الروماني في إفريقيا كما تطرقنا فيه إلى قياداتهم و التركيبة البشرية فيه والتي تعتبر جزءا من الكلّ الممثل للتنظيم الإداري للجيش الروماني المتمركز في الولاية الإفريقية.

وفي هذا الفصل نحاول التطرق بالتفصيل إلى مكونات هذه الإدارة التي ساهمت بلا شك في الوزر الأكبر من تمكن الجيش الروماني في فرض سيطرته على الأرض ولنا

Tacite, I ,26.-(1

أن نتصور النتائج المرجوة من جيش يعيش في ظروف سيئة أو بلباس رث، أو بنقص الأسلحة أو بتفكير متشائم في مستقبله بعد نهاية فترة خدمته للجيش التي كانت تستمر لمدة 20 سنة بالنسبة للفيالق الرومانية و 25 سنة للفيالق المساعدة[1] .

لذلك فإن الإدارة المنظمة لهذا الجيش لم تغفل حقوق هؤلاء الجنود بقدر ما لم تغفل فرض الواجبات عليهم[2]، فحاولت بقدر الإمكان وضع جنودها في أحسن الأوضاع المعيشة، وسطرت لذلك برنامجا دقيقا لضمان نجاح إجراءاتها فأخذت بعين الاعتبار حالة كل فرد حسب مهامه ورتبته وكذلك سنه، ومنه نتج نظام معقّد من الإجراءات بداية من: توفير اللباس للجندي، الطعام، الراتب، السلاح، وأجرة التقاعد[3]، ولم تغفل كل وسائل الراحة الممكنة من مقاهي، وحمامات ومكاتب، ولم تضع صحة الجندي على الجانب بل بنت له مستشفيات ثابتة في القواعد الكبيرة، ومستشفيات ميدانية في ميادين المعركة، ولأجل ذلك أخذت على عاتقها تكوين رجال مختصين في التسيير ،الصحة والنظام المالي يضمن دفع الرواتب وتسيير خزائن الجيش لدفع أجور التقاعد[4]، مختصين في التسيير والصحة ونظام مالي يضمن دفع الرواتب وخزائن الجيش لدفع أجور التقاعد ولنا أن نتطرق لبعض هذه الجوانب:

أ- المؤونة

---

[1]- ورث،ت. ،2003،ص.51.
[2]- ورث،ت. ،2003،ص.50.
[3]- ورث،ت. ،2003،ص.49.
[4]- ورث،ت. ،2003،ص.51.

من البديهي التفكير في أول الأمر إلى التغذية الضرورية للجيش ولا شك أن الإدارة العسكرية وضعت هذه المسألة في قائمة أولوياتها، لأن الجيش الجائع هو الجيش الفاشل بلغة المنطق، ويجدر بنا الذكر أن الجيش الروماني عرف عدة مراحل مختلفة في هذه النقطة بالذات[1] .

في بداية الأمر كان الجندي الروماني هو من يوفر لنفسه وجبته الغذائية اليومية، لأن الجنود كانوا من المتطوعين ولا يتلقون أجرا نظير عملهم في الجيش إذا استثنينا الغنائم التي يحصلون عليها على أجساد أعدائهم بعد خوض المعارك وبالتالي فالفقراء لا يقبلون في الجيش بسبب عجزهم عن توفير الغذاء لأنفسهم[2]، إلا أن الأمور تغيرت جذريا مع مرور الزمن[3*]، خاصة بعد أن عرفت الإمبراطورية الرومانية توسعات خارج إيطاليا، وبعد أن أصبح جيشها ضخما ما تطلب توفير كميات هائلة من الأغذية[4].

ومع استغراق الحملات العسكرية فترة طويلة من الزمن لم يعد من الممكن على أفراد الجيش توفير الغذاء لأنفسهم أو حمل وجباتهم معهم، وبالتالي أوجدت الإدارة العسكرية نظام التموين الذي يسهر على توفير الغذاء لجنودها العاملين في الميدان، ويذكر لنا المؤرخ تيت ليف أن جيش سيبيون الإفريقي لما عبر إلى إفريقيا حمل معه ما يكفي من المؤن لمدة 45 يوما على متن السفن[5]، لأن إذا كان الجندي الروماني يوفر لنفسه الغذاء

---

1)– *Gsell, St., H.A.A.N, p.225*
2)– *Gsell, st., H.A.A.N, p.225*
3*) – *كانت إصلاحات القائد ماريوس في الجيش الروماني جذرية بحيث اصح الجيش الروماني في متناول كل فئات الشعب.*
4)– *Tite-live ,XXIX ,25,10*

5)– *Tite-live ،XXIX, 25*, 10. Gsell , *st., H.A.A.N,* VII, p209.

في أثناء خدمته في المراحل الأولى فذلك يعود إلى سبب رئيسي هو أنه كان يحارب في الأراضي القريبة داخل الجزيرة الايطالية، أما أن يقوم بنفس الشيء وهو يقاتل في أراضي أعدائه البعيدة فهي مغامرة لا يمكن أن يتجاهلها قادة الجيش الروماني، وبالتالي هذا الأمر هو ما يبرر الفترات الزمنية الطويلة التي يقضيها الجيش في جمع المؤن،قبل خوض معركة أو حرب جديدة وفي أحيان أخرى يستلزم عليه انتظار مواسيم الحصاد قبل الاتجاه إلى الحرب وحتى عندما يتم السيطرة على غلال ومزارع الأعداء في الحمالات فمن غير الواقعي أن ينكّب الجندي على جمع الغذاء أو تخزينه ما يجعله يحيد عن مهمته الأساسية وهي القتال ، والأخطر من ذلك يجعل الجنود يتصرفون فيما بينهم على أحقية كل واحد في هذه الأرزاق.

ولتفادي كل هذا قامت الإدارة الرومانية بإيجاد مخازن خاصة داخل المراكز العسكرية تخضع لتسيير صارم من قبل المسؤول المعين عليها و تسهر على تقديم وجبة غذائية منتظمة لكل الجنود يوميا، وحتى في حالة تعذّر دخول الجيش إلى مراكزهم كما هو الحال في عمليات الحصار الطويلة أو الحملات البعيدة فإن الفرق المخصصة لهذا الأمر تقوم بنقل الغذاء للجنود إلى مواقعهم في ميدان الحرب، وفي هذا الخصوص يحدثنا المؤرخ كانيا[1] عن الأهمية البالغة التي تخصص للمخازن التابعة للجيش في المقاطعة الإفريقية والتي كانت تسير بطريقة حكيمة حسب المؤرخ.

---

1)- *Cagnat, R.,1913, p. 311.*

لأن ضمان وجود مخازن للغذاء خاصة بالجيش يعفي الإدارة مشاكل كثيرة هي في غنى عنها، فالاضطرابات و التمرد والعصيان نتيجة حتمية داخل أفراد الجيش إن شعروا بعدم الاهتمام بهم، وإذا كان هذا الخطر الداخلي في حالة السلم، لنا أن نتصور الخطر المحدق بغياب مخازن الغذاء في حالة نشوب حرب مفاجئة أو ضد عدو قوي، وبالتالي من الاحتياط امتلاك هذه المخازن في كل المناطق التي يتواجد بها الجيش الروماني والتي غالبا ما تخصص لها حاميات خاصة لحمايتها، و تحظى باهتمام المسؤولين الكبار[1]

فإذا كان ذكر المؤرخ كانيا للإمبراطور هدريان[2] (Hadrien) الذي كان يزور هذه المخازن في رحلاته التفقدية لجيوش الإمبراطورية، فإن تخميناتنا تسمح لنا بالاعتقاد أن نفس التصرف كان عند المسؤولين السابقين لهذا الإمبراطور، وهذا البرهان هو ما يوضح لنا أولوية الإدارة المحلية والمركزية للجيش لتوفير الغذاء لجنودها ونفهم من خلال ما ذكره في هذا الموضوع أن الجيش الروماني في إفريقيا سار على نفس تقاليد جيوش الإمبراطورية في الأقطار الأخرى بحيث طور مخازن خاصة لجمع كل أنواع المواد الغذائية المتوفرة، وربما الشيء الذي يزيد من أهمية تلك المخازن هو كون الولاية الإفريقية مصدر هام لتموين أسواق روما، فمن المنطقي أن تكون أراضيها مليئة بالمخازن الخاصة لجميع المواد الغذائية، وبالتالي لا يستبعد أن تخصص البعض منها لتغذية الجيش،

---

1)- *Cagnat, R., 1913 p. 311.*
2)- *Cagnat, R., 1913 p311.*

وربما الاستعانة بالمخازن الأخرى في الحالات الخاصة جدا، لأن مناخ المنطقة كما هو معروف، مناخ متذبذب و لا يضمن المحصول الكافي لكل سنة، وهذا العامل المناخي ربما من الأسباب الرئيسية التي دفعت إلى إنشاء مثل هذه المخازن [1].

بالإضافة إلى ما سبق وذكرناه من دوافع إستراتيجية وتنظيمية في إيجاد هذه المخازن، أما فيما يخص تسمية هذه المخازن فنكتفي بما ذكره كانيا*Publica* « *Horrea* » *–Fiscalia* [2]

إذا كانت هذه المخازن في أول الأمر مركزة في المناطق الساحلية مثل بجاية، قرطاجة وحضرموت[3] ، فإن سيطرة الجيش الروماني على المناطق الداخلية أوجد مثلها في مناطق مثل سطيف[4]، وبالتالي الأولوية تقضي بتقريب مخازن الغذاء إلى مراكز إقامة الجيش كلما أمكّن ذلك [5]، وكان حاكم الولاية يعين أشخاص من اختياره، دورهم الوحيد هو ضمان جمع المواد الغذائية الخاصة بالجيش، وإيصالها إلى كل القوات والمعسكرات المتواجدة بالولاية في الوقت المناسب[6] .

أما مصدر هذه الأرزاق المخصصة لتغذية الجيش فلا شك أن في بادئ الأمر كان مصدرها استيلاء الجيوش الرومانية على مزارع ومخازن الأهالي أو من تقديم القبائل

---

1) -*Cagnat, R., 1913. p311.*
2) -*Cagnat, R., 1913 p.316.*
3) -*Cagnat, R., 1913, p.316.*
4) -*Cagnat, R., 1913, p316.317.*
5) -*Cagnat, R., 1913, p.316.*
6) -*Cagnat, R., 1913, p.318.*

والمماليك الحليفة، ولكن بعد سيطرة الجيش على الأراضي الخصبة لسكان الأهالي كانت تتحصل منهم على ضرائب متمثلة في نسبة المحصول وهي تختلف من محصول لآخر[1]

وإذا كان أول الأمر كانت تتم بطريقة مباشرة بين المسؤولين الرومان والفلاحين[2] فإن مع مرور الوقت أوجدت موكلين تابعين للحكومة للقيام بهذه الوساطة بين الفلاح ومالك الأرض وبدون شك فإن الجيش يتحصل على غذائه من خلال الضرائب التي تفرض على مالكي الأرض الذي يعتبر أرض أو ملك لشعب الروماني.[3]

ولضمان التسيير الحسن لهذه الضرائب التي تنتج عنها كميات ضخمة من المواد الغذائية الموجهة لتغذية الجيوش، يتم تعيين مسيرون خاصون بالمخازن ويقومون بتدوين كل ما في المخزن، وكمية المواد التي سلمت للمعسكرات الجيش، وكذلك قيمتها ونوعيتها، واتخذا هؤلاء المحاسبون تسمية *Actuarii* أو *Actarii*)[4] .

وبصفة عامة كانت إجراءات توزيع هذه المواد الغذائية على الجيش تتعرض إلى سلسلة معقدة من الأولويات والمحاسبة والإثباتات الكتابية على التسليم تهدف في نهايتها إلى المحاسبة الدقيقة للمسؤولين عنها وتفادي التبذير، لكن الأمر الذي يجب أن نشير إليه هو أن المحاسبين أو القائمين على توزيع الأغذية على الجيش لم يكونوا من أفراد الجيش،

---

[1]) *Cagnat, R., 1913, p.318.*-
[2]) *Cagnat, R., 1913, p.317.*-
[3]) شنتي،م.ب، 1984، ص،77، 78.
[4]) *Cagnat, R., 1913, p. 323.*-

وإنما من المدنيين على الأقل في الوقت الذي يكلفون فيه بهذه المهمة بحيث يصبحون حينها تحت المسؤولية المباشرة لحاكم الولاية وليس لقائد الفرق العسكرية[1].

وبعدما درسنا كيفية وصول هذه الأغذية وتخزينها وضمان الغذاء للجيش الروماني في المغرب القديم الذي قلنا أنه لا يختلف نظامه عن جيوش الإمبراطورية في المناطق الأخرى ولا في الفترات الأخرى اللاحقة وإن لم نستبعد إحداث تغيرات طفيفة على هذا النظام إما نتيجة اجتهاد الخبراء الرومان أو نتيجة ظروف تفرضها الطبيعة أو العدو، لأن الغلال التي وجدها الجيش الروماني في أراضي قرطاجة على سبيل الذكر سمحت له الظروف للسيطرة عليها وبالتالي ضمان الغذاء لأفراد الجيش إما من خلال المخازن أو الحصاد الذي يقوم به الجنود في مزارع المغلبون على أمرهم، إلا أن ذلك غير ممكن في مناطق داخلية أو صحراوية وحتى الجبلية التي تعتمد على أسلوب تغذية خاص جدا بها وغير معروف عند الرومان، ولا توجد فيه مخازن كبيرة أو أراضي خصبة وهو الأمر الذي واجهه الجيش أثناء زحفه نحو الجنوب[2].

بالإضافة إلى عامل الفصول، فمن المعروف أن الحصاد يتم مرة واحدة في السنة وبالتالي فالاعتماد على المخازن أمر لا مفر منه، وخاصة إذا عرفنا أن غالبية المنتجات التي تجمع في الفصول الأخرى من السنة غير صالحة للتخزين إذا استثنينا الزيوت والعسل أما الخضر والفواكه فهي غير صالحة لذلك، ولذلك فإن الوجبة الرئيسية للجيش

(1- *Cagnat, R., 1913, p. 323.*

(2- *Salluste, Guerre de Jugurtha, LXXV.*

الروماني تتكون من الحبوب و البقليات الصالحة للتخزين وعلى رأسها القمح والشعير، ويذكر لنا المؤرخ *تشارلز ورث*[1] يخص وجبة الجندي الروماني المتكونة غالبا من الخبز،الحساء، الخضروات، الزيت، النبيذ، اللحم،و هو الأمر نفسه الذي أشار إليه كانيا[2] وإذا كان القمح كما قلنا هو الغذاء الرئيسي لكل الجيوش الرومانية والمواطنين في تلك الفترة إلى أن الأمر يختلف من منطقة إلى أخرى فيما يخص المواد الغذائية الأخرى حسب الأقاليم المناخية المتواجدة فيها، فإذا كانت الزيوت مثلا متوفرة بشكل كبير في الولاية الإفريقية، وولاية الشرق في سوريا، وكذا اسبانيا، فإن الأمر مختلف تماما في مقاطعات الشمال مثل بريطانيا وبلاد الجرمان[3].

أما فيما يخص اللحوم فإن الجيش الروماني في المغرب القديم كان يحتفظ بقطع من الماشية وخصص لها مناطق للرعي قرب مراكز إقامته ، وبالتالي كان يتغذى على لحومها بصفة مستمرة وإن لم يستثنى المؤرخين اعتماد الجيش على الصيد لتوفير اللحوم خاصة أن المنطقة كما يذكرها الجغرافي سترابون[4] *(Strabon)* من أكثر مناطق العالم كثرة في قطاع الماشية وكذا الحيوانات البرية التي لا شك أن أفراد الجيش الروماني قاموا باستغلالها.

فإذا كان هذا هو حال نظام التغذية المتبع على المستوى الرسمي فإن للجنود فرص الحصول على الواجبات الغذائية من المحالات والمقاهي المتوفرة في مدن الولاية

---

1)- *ورث ،ت.، 2003 ،ص،50.*

2) – *Cagnat, R., 1913, p. 312*

3) - *ورث،ت.،2003 ،ص،50.*

4) – *Strabon, Géographie de Strabon, XVII, I*

الإفريقية في أوقات السلم وأوقات الراحة خاصة بالنسبة للفرق المنتشرة قرب المدن المأهولة بالسكان[1].

ب - الألبسة

تركت لنا الرسوم الصخرية التي تمجد لنا المعارك والانتصارات التي حققها الجيش الروماني في إفريقيا وكامل ربوع الإمبراطورية تصور أولي للباس الرسمي الذي يرتديه الجندي الروماني، لكن من المنطقي أن نعتقد بتطوير هذا اللباس مع مرور الزمن وكذلك باختلافه باختلاف الأقاليم التي احتلتها هذه الجيوش، لأن الجيش المرابط في المناطق الشمالية للإمبراطورية مثلا يكون بحاجة إلى لباس خاص يحميه من البرد والمناخ القاسي الذي تتصف به هذه الأقاليم، وعكسه تماما للفيالق التي توغلت في المناطق الداخلية في إفريقيا وآسيا وبلاد ما بين النهرين التي تتصف بالحرارة الشديدة[2]. *(أنظر الشكل 01؛03)*

وانطلاقا من المعطيات الميدانية يمكن أن نستنتج أن الجيش الروماني في إفريقيا كان في موقع الوسط بين المثالين لأن الجو على العموم في هذه المنطقة يتصف بالاعتدال طول العام تقريبا، أما الأمر الوحيد الذي لاشك فيه هو اختلاف اللباس باختلاف الرتب العسكرية وهو الأمر المعمول به حتى في الجيوش الحديثة. *(أنظر الشكل 04)*

وإذا عدنا إلى المراحل التي سبقت تكّفل الدولة بلباس جنودها فإن المؤكد أن الجنود الأغنياء يلبسون أفضل من الجنود الأقل ثراء، لكن يبدو أن الدولة أخذت على

---

1)- ورث،ت.،2003، ،ص،50
2)- Salluste, Guerre de Jugurtha, LXXV.

عاتقها هذه المهمة في توزيع اللباس على الجنود من مختلف الرتب في الفترات اللاحقة خاصة بعد أن تحول الجيش الروماني إلى جيش من المحترفين وفتح أبوابه لكل أفراد الشعب في ضل التغييرات التي أحدثها القائد ماريوس[1]، ويبدو أن طريقة توزيع الألبسة لا تختلف كثيرا عن طريقة توزيع الأغذية بحيث أقيمت مخازن خاصة بالملابس للجنود ويتم توزيعها بصفة دورية عليهم أو عند الحاجة خاصة في فترة التجنيد و ما تتطلبه العملية من توزيع الألبسة على المجندين الجدد، أوفي حالة استنجادها بفرق خارج الولاية[2].

ونظرا للنقص الحاد للمعلومات فيما يخص هذا الموضوع فإن كانيا[3] لا يستبعد قيام الدولة الرومانية على نفقتها بشراء ملابس جاهزة لجنودها إما بواسطة التجار الايطاليين أو المحليين، أو دفعت أموال مقابل ذلك لقادة الفرقة لتكّفل بهذه المهمة [4]، على أن تتم محاسبتهم فيما بعد، وهو الأمر الغير المستبعد إذا علمنا أن صناعة النسيج تطورت بشكل كبير في إفريقيا، وربما لجأ الجيش الروماني لهؤلاء الحرفيين المحليين لشراء حاجاتهم أو إلى الأسواق المجاورة لمراكزهم ولكن يبدو أن ذلك يتم بطلب مسبق لأن ألبسة الجنود تختلف عما هو متوفر عند المدنيين.

ج - الأسلحة

---

1)– *Gsell, St., H.A.A.N, p.225.*
2)- *Cagnat, R,.1913, p.335.*
3)– *Cagnat, R., 1913, p.334 ,335.*
4)– *Cagnat, R., 1913, p.335.*

" كان الجندي الحديث يتدرب على السير والجري والقفز، والسباحة وركوب الخيل واستخدام أسلحة في الهجوم والدفاع واستعمال الفأس والجاروف والبلطة والمنشار وحصد القمح وقطع الأخشاب"

من خلال هذه الفقرة للمؤرخ الانجليزي[1] نفهم أن الجندي الروماني كان بحوزته مختلف الأسلحة اللازمة لتنفيذ مهامه بنجاح إما في الغزو أو في الدفاع عن النفس ضد أعدائه، وككل الأمور الأخرى من غذاء ولباس كان في أول الأمر الجندي هو من يحمل معه السلاح الذي يقاتل به والذي انحصر في السيف كما ذكر تاسيت وربما الرماح.*(أنظر الشكل 02؛03؛04).*

لكن مع مرور الوقت واتساع الإمبراطورية استفاد الرومان من خبرات جيرانهم وأعدائهم، لكن مع اشتمال الإمبراطورية على شعوب مختلفة كثرت الثورات وأعمال قطع الطرق حاولت الدولة الرومانية فرض المراقبة على هذه الأسلحة[2] ، وإن كان من الصعب التحكم فيها، إلا أن الأمر كان نسبيا لأن المادة الأولية التي تصنع بها الأسلحة هي المعادن خاصة الحديد منها، وبالتالي يكفي مراقبة مناجم هذه المواد لقطع الطريق أمام التجارة غير الشرعية لهذه الأسلحة، لكن الأمر أصعب مما يمكن تصوره لأن العديد من المناطق التي تحتوي هذه المناجم لم تدخل تحت السيطرة الرومانية مثل المناطق الداخلية في إفريقيا و آسيا، وإنما وجود تسمية *فابريسانس* (*Fabricenses*)[3] والتي تعني الحرفي يرشدنا إلى وجود حرفيين مختصين في صناعة الأسلحة وما هو معروف على الأقل هو وجود مصانع خاصة بالأسلحة تابعة للفرق العسكرية التي تتول عملية صناعة الأسلحة في

---

1) ورث ،ت.،2003 ،ص.46.

2)– Cagnat, R., 1913, p.336.

3)– Cagnat, R.,1913, p.336.

الأوقات العادية[1] أما في الحالات الخاصة مثل الحروب فإنها تتزود بالسلاح من المخازن المركزية للإمبراطورية[2]، ونظرا لأهمية هذه الصناعة لم يكن مستبعدا أن تكون مراقبة من طرف الدولة لمنع انتشار الأسلحة بشكل يشجع المواطنين خاصة المحليين منهم لرفع السلاح ضد السلطة ما من شأنه أن يخلق مشاكل كبيرة لها، ولا ننفي وجود أسلحة فردية عند المواطنين، رومان كانوا أم أهالي ،لأن الثقافة السائدة آنذاك متعلقة كثيرا بالسلاح والأمر ليس بالغريب خاصة عند القبائل الراحلة، ونفس المظاهر لا تزال موجودة إلى يومنا هذا في قبائل الجنوب التي تضرب بجذورها إلى الأصول القديمة من القبائل الليبية وإن كان هذا المظهر اليوم بدرجة أقل نظرا للمظاهر التحضر والاستقرار التي يتميز بها أغلبية السكان ، لكن في فترة التواجد الروماني كان السكان وحتى المعمرون يمارسون الصيد ويواجهون الحيوانات الضارية، كما أن قدماء المحاربون يحافظون على أسلحتهم بعد إنهاء الخدمة العسكرية.

أما فيما يخص الوضع الإداري فإن الجيش الروماني باعتباره جيش نظامي فنظن أنه لا يختلف كثيرا عما هو معمول به في الجيوش الحديثة في مجال الأسلحة بحيث نجد مخازن خاصة بالأسلحة في كل مركز أو معسكر[3]، وربما كان نظام الترقيم والإعداد متبوع بهدف السيطرة على هذه الأسلحة، وفي نفس السياق لا نستبعد تعيين ضباط أو ضباط صف للإشراف على مخازن الأسلحة كما هو الحال في مخازن الأغذية والألبسة

---

1)– *Cagnat, R., 1913, p.337.*
2)- *Cagnat, R., 1913, p.337.*
3)– *Cagnat, R., 1913, p.337.*

لكن النقص الشديد في المعلومات التاريخية هي السبب وراء عدم تأكيد المؤرخين أو نفيهم لهذه النقطة[1].

أما فيما يخص نوعية الأسلحة المستعملة من طرف الجيش الروماني في إفريقيا ، فإن عملية تدقيق بسيطة لروايات المؤرخين حول المعارك التي قادها هذا الجيش توضح لنا كما يبدو أنه استعمل كل أسلحة عصره[2] ، وإن بقي السيف الأداة الأولى والرئيسية في عتاد الجيش الروماني بحيث بقي السيف المستقيم المشحوذ من الجانبين وغير الطويل ميز الفيالق الرومانية على مر الزمن، ولم يكن الجيش الروماني يستعمل الفؤوس مثلا في الحرب إلا بعد احتكاكه بالحضارات الشمالية خاصة الجرمانية منه، كما أنه استعمل مع مرور الوقت الرماح الطويلة، وكل الوسائل التي تضمن له الانتصار، وبالإضافة إلى الأسلحة الفردية الخفيفة نجد أيضا أدوات الحصار الثقيلة مثل المنجنيق ورماة السهام والدروع والمتاريس الثقيلة والخوذات الحديدية والنحاسية للحصول على أكبر قدر ممكن من للحماية.

د - الرواتب

إذا كان مشكل الرواتب في بداية الأمر غير مطروح بالنسبة للجيش الروماني لأن كما سبق وقلنا يعتمد على المتطوعين والأغنياء وأن المكافئة تنحصر في الغنائم فإن ذلك لم يبق على حاله، ومع تطور الجيش وضخامته طور الرومان نظام مالي معتمد من

---

1)– *Cagnat, R.,1913, p.336.*

2)– *Salluste, Guerre De Jugurtha.*

البنوك والخزائن المالية العمومية التي تتولى الشؤون المالية في الدولة[1]، ومن غير المستبعد أن يكون هذا النظام عرف تطور واكب ظهور الولايات البعيدة بحيث أصبح نظام مستقل عن النظام المركزي للدولة الرومانية و إن بقي تسييره يخضع لنفس الإجراءات التي تسير البنوك المركزية، وبالتالي اتخذت كل ولاية إجراءات خاصة بها لدفع رواتب الجنود العاملين في الولاية[2].

ولنا أن نتصور خزائن الدولة التي تستقبل أموال الضرائب وبالتالي تخصص جزءا منه كنفقات للجيش ورواتبهم[3]؛ و يظهر أن النظام المعمول به نفسه في كل ولايات الإمبراطورية بحيث أن المسؤول الأول على بيت المال هو البروكوراتور(*Procurateur*) الذي يخوله الإمبراطور هذه المهمة[4] ، بمساعدة موظفين خاصين يسهرون على صرف الرواتب على الجنود[5]، إذ لم يكن يسمح للقائد العسكري باستخدام رواتب جنوده لما في الأمر من خطورة شديدة لأن أي مشكل مهما كان صغيرا يمكن أن يخلق شرخ خطير بين الجنود وقادتاهم كما أن الإدارة المركزية تخشى تمرد القادة إذا كانت بحوزتهم أموال معتبرة وبالتالي وكّلت المهمة إلى هيئة مدنية[6].

أما فيما يخص الراتب الذي يتحصل عليه الجندي أو الضابط العسكري، فإن المؤرخ تشارلز ورث ذكر ما يلي: " *واختلفت معدلات الرواتب خلال العصور تبعا لارتفاع*

---

[1] Cagnat, R., 1913, p.339.-
[2] Cagnat, R., 1913, p.339.-
[3] Cagnat, R., 1913, p.339.-
[4] Cagnat, R., 1913, p.339.-
[5] Cagnat, R., 1913, p.338.-
[6] Cagnat, R., 1913, p.339.-

الأسعار، بيّد أنها كانت في القرن الأول تقل بعض الشيء عند دينار في اليوم للجندي العامل، ويساوي هذا الأجر على وجه التقريب أجر العامل المتوسط في اليوم"[1].

وإذا كان راتب الجندي البسيط كما ذكره المؤرخ، فعندئذ يحق لنا تقدير راتب الضباط وضابط الصف على أنه أعلى بكثير و صل في بعض الحالات عشرات الأضعاف عما هو راتب الجنود[2]، ورغم أن هذا الأجر يبدو زهيدا إلا أنه في تلك الفترة ليس كما يبدو لنا بحيث وجدت وثائق تتحدث عن أحد الجنود الذي استطاع ادخار نصف راتبه[3]، لأن كما نعلم فإن الجنود يحق لهم أخذ جزءا من الغنائم التي يحصلون عليها بعد حملة مضفرة ولذلك أصبح دخلهم أكبر[4].

لكن الملفت للنظر أن رواتب الجنود تتعرض للتغيير أو التعويضات بأوامر من القيادة مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة كالطعام واللباس، لكن مقابل ذلك يستفيد الجندي من أجرة التقاعد التي تدفعها الخزينة العسكرية للجنود بعد تقاعدهم، وإن لم تكن بالشيء الكثير فإن الدولة تسمح لهم بممارسة مهن أخرى تدر عليهم أرباح، كما تمنح لهم أراضي لاستغلالها بعد نهاية فترة الخدمة العسكرية أو ممارسة التجارة[5] .

من خلال هذه الدراسة المخصصة للإدارة العسكرية الرومانية في إفريقيا نستنتج أن لهذا النظام الدقيق الدور الكبير في حفظ استقرار الجيش، كما لعب دور ريادي في ضمان انجاز الجيش للمهام التي كلف بها على أكمل وجه، بحيث يكون القائد والجندي

---

[1]) - ورث،ت.،2003،ص،51.
[2]) - ورث،ت.، 2003 . ص.46.
[3]- ورث،ت.، 2003 .ص.51.
[4]- ورث،ت.، 2003 .ص.51.
[5]- ورث،ت.، 2003.ص.51.

على حد سواء في نفسية مطمئنة أمام مستقبله واستقراره الاجتماعي، وهو ما تؤكده الانجازات الضخمة التي حققها الجيش الروماني في إفريقيا في جميع المجالات الحيوية التي سيتعذر عليه القيام بها لو كان في وضع غير مريح، وهذه الانجازات هي التي سنحاول التطرق إليها في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

الفصل الثالث

منجزات الجيش الروماني في إفريقيا

الفصل الثالث

- 1 - الانجازات العسكرية

- 2 - الانجازات أ- الاقتصادية و السياسية

نهض الجيش الروماني المحتل لشمال إفريقيا بمهمة ضمان المصلحة الرومانية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية واتخذ من الوسيلة العسكرية سبيل لتحقيقها، إذ أنه شرع مباشرة بعد سقوط قرطاجة عام *146 ق.م*[1] في تطبيق مشروع روما الأزلّي المتمثل في التوسع والسيطرة على شعوب البحر المتوسط الذي يعتبر في الحقيقة مبدأ سياسة الرومان الأوائل منذ القرن الخامس قبل الميلاد[2]، وهو ما ظهر جليا في السيطرة الرومانية ضد شعوب إيطاليا ثم خوضها حروب مريرة ضد أعدائها للسيطرة على مواقع وثروات جيرانها، وإن كان السعي الروماني مفهوم من الناحية الإستراتيجية والسياسية لأن التاريخ يؤكد لنا أن ما من دولة أو مسؤول قديما أو حديثا سخر قدرات الأمة الاقتصادية والبشرية بدافع إنساني، وإنما وراء ذلك السعي في المقام الأول أهداف اقتصادية وإستراتيجية تعبر عنها اللغة الحديثة بعبارة المجال الحيوي للدولة، ليتعدى الأمر إلى الصراع القائم داخل مؤسسة الدولة المعتدية نفسها أو الأزمات التي تعيشها ليظهر الصراع الداخلي على شكل حملات توسعية لهدف توجيه الرأي العام الداخلي لانشغالات خارجية أو لتحقيق أهداف شخصية متعلقة بالحاكم نفسه، وخير مثال عن ذلك تناقض مواقف عائلتي برقة وحانون القرطاجية من الحرب ضد روما باعتبارهما ذات نفوذ، فالأولى تسعى للمجد العسكري والثانية تحاول الدفاع عن مصالحها الاقتصادية ما وضع مصير الأمة على المحك ونفسه هدف العديد من الأباطرة والقادة الرومان إذ أن كل الانتصارات التي يحققها الجيش

---

[1]) *Dureau de la Malle, 1852, Algérie, Histoire des guerres Romains, des Byzantins et des Vandales, paris. P.11-*

[2]) شنيتي،م،ب.، *1985*،ص.*45*

الروماني تخدم في المقام الأول شرف القائد إن لم يكن الهدف نفسه الذي أطلق العنان للحروب من أجل تحقيقه ولتكن دماء الشعوب الوقود المغذية لها.

وبالتالي تبقى كل الذرائع الظاهرة لتواجد الروماني في شمال إفريقيا مجرد واجهة فقط للأهداف الحقيقية التي دفع من أجلها الشعب الروماني الآلاف من أبنائه وأنهك اقتصاده للوصول إلى المشروع المنتظر من الجيش تطبيقه ألا وهو مصلحة الأمة الرومانية في المقام الأول ورجال الأعمال والمسيرة السياسية للقادة(*).

لكن الغريب في الأمر هي المحاولة المضنية من طرف بعض المؤرخين الغربيين بتسويق صورة بيضاء لتواجد الروماني في إفريقيا ومحاولتهم تبرئة أعمالهم الاستعمارية واعتبارها نتيجة ظروف لا تتجاوز إطار الصراع الروماني القرطاجي، متجاهلين الأهداف الحقيقية لهذا الصراع نفسه، وفي هذا المقام يجدر بنا ذكر التناقض الواضح في إفادات المؤرخ ستيفان قزال، وما نقله عن المؤرخ الألماني مومسان قوله *:" إن الحكومة الرومانية قد أحكمت بقوة استيلائها على المنطقة التي كانت قرطاجة تملكها عند سقوطها، ولم يفعل الرومانيون ذاك لفائدة يجنونها، وإنما فعلوه حتى لا يتركوا المنطقة للغير ولم يعملوا لإيقاظ حياة جديدة هناك، بل اكتفوا بحراسة الجثة ، ولم يكن ذاك عن حب منهم للسيطرة والفتح ، بل إن الخوف والحسد هما اللذان دفعا روما لإنشاء ولاية إفريقيا ، ولذلك ليست لهذه الناحية تاريخ في عهد الجمهورية"*[1].

---

1)- *قزال،س. ،VII، تعريب:-محمد التازي سعود ،2007،الرباط..ص: 109*

*) *لنا في حملة كايوس غراكوس سنة 122ق.م الاستيطانية، و كذالك تصريحات نائب العوام الروماني ،كاتون،بمقولته الشهيرة"يجب تدمير قرطاجة" و هو حامل لحبات من التين القرطاجي في يده ،خير دليل على الأهداف الاقتصادية وراء الحملة الرومانية في إفريقيا.*

فالواضح أن هذا الحكم الذي أصدره مومسان وراءه نية قاصدة في تبرئة ذمة الأعمال الوحشية والأهداف الإستراتيجية التي من أجلها دفعت روما النفس والنفيس، ونفسه قزال يقر بهذه الحقيقة عندما أعتبر حكم مومسان قاسيا[1]، بحيث تحدث في موقف آخر عن الحاجة الماسة لروما إلى القمح الإفريقي لاستمرار الدولة الرومانية وإقناع الجماهير بضرورة القيام بهذه الحروب وعبر عن ذلك على أنه " *النفع الأهم والوحيد الذي يجنّى من هذه الممتلكات فيما وراء البحار*"[2]، فهو اعتراف ضمني بحقيقة المهمة التي من أجلها تواجد الجيش الروماني في إفريقيا وهو نفس حال الجيوش الرومانية في ربوع العالم القديم، ولتأكد من أهمية هذا التواجد بالنسبة للجمهورية الرومانية يكفينا ذكر إفادات المؤرخ جوزاف فلافيوس *(Josef Flavius)* في حديثه على مقاطعة مصر التي تزود روما لمدة ستة أشهر بالقمح والأشهر الباقية تضمنها مقاطعة إفريقيا إلى جانب المقاطعات الأخرى[3]

وإذا نظرنا إلى أهمية تلك الإفادة فإننا نقتنع بالأهداف الحقيقية وراء التوسع الروماني، و هذه الحقيقة تذكرنا بتصريحات قيصر عقب احتلاله المملكة النوميدية في نهاية الحرب الأهلية سنة 46 ق.م بقوله: '*أتيت لروما بأرض تزودها بالقمح لمدة ستة اشهر*"، وهذه الأمور يمكن اعتبارها انجازات الجيش الروماني التي نحاول التطرق إليها

---

1) – *Gsell,st.,H.A.A.N , VII,p.118*

2) – *Gsell, st ,. H.A.A.N ,VII,p.119*

3) – *Cagnat, R ,. 1913, p.315*

من خلال هذا الفصل بشكل من التفصيل بعد أن قسمناها إلى الانجازات العسكرية، السياسية والاقتصادية.

1- الانجازات العسكرية

ما من شك أن الانتصار الكبير الذي حققه الجيش الروماني على حساب قرطاجة في عام *146 ق.م*، هو الانجاز الأعظم له في شمال إفريقيا بحيث فتح أبواب التوسع والسيطرة على المنطقة لمدة خمسة قرون من الزمن، كانت ثرية بانجازات هذا الجيش على حساب أعدائه ودفاعا عن المصلحة الرومانية[1].

فبعد زوال قرطاجة التي تعتبر الذريعة الرئيسية لتواجد الجيش الروماني في شمال إفريقيا، قام القائد الروماني سيبيون إيمليان بإلهاء فرقه في حفر خندق يحيط بحدود مقاطعة إفريقيا التي كانت تتمثل في أملاك دولة قرطاجة المنهارة والمعروف تاريخيا باسم الأخدود الملكي *(Fossa Regia)* الذي اعتبر الحد الفاصل بين الولاية الإفريقية ومملكة نوميديا الممتدة غرب المقاطعة الإفريقية، لكن الأمور لم تستبد لروما لمدة طويلة ليمتحنوا أشد امتحان في هيبتهم العسكرية وقدراتهم التي كثيرا ما قالوا عنها أنها لا تقهر.

وتمثل الامتحان في مواجهة تمرد الملك النوميدي يوغورطة على الوضع القائم وهو ما عرف تاريخيا بحرب يوغورطة التي تولى المؤرخ سالوست مهمة نقل أخباره

---

[1]- *جوليان،ش،أ.، نقلا عن شنيتي،م.ب.، 1985،ص.120.*

إلينا في مؤلفه الشهير "*حرب يوغورطة*"[1]، إذ تعود خلفيات هذه الأزمة إلى شكل النظام القائم في مملكة نوميديا، فبعد وفاة الملك مكبسا خليفة الملك الكبير ماسنيسا ظهرت في الأفق أزمة الخلافة بين أبناء مسيبسا أذرباعل وهيمسال من جهة وابنه بالتبني يوغورطة الذي هو في الحقيقة ابن شقيقه المتوفى مصتنبعل[2]، ونظرا لنفوذ الروماني الكبير في تعيين قادة المملكة النوميدية حسب ما يذكره سالوست الذي يرجع تبني مسيبسا لابن أخيه يوغرطة إلى خضوعه لضغوط القائد الروماني سيبيون إيمليان بعد حرب النومانس التي شارك فيها بنجاح يوغورطة على رأس الخيالة النومديون إلى جانب الجيش الروماني[3] ؛ وذلك من خلال الرسالة التي أوردها له عن طريق يوغورطة وخصه بالذكر أنه جدير بالملك مسيبسا وجده ماسنيسا[4].

وعقب وفاة الملك مسيبسا سنة *118 ق.م*[5] ظهر خلاف شديد بين الإخوة الثلاثة عن طبيعة الحكم[6] ما أدى بروما لتدخل لفض النزاع لكن الأمور انحرفت إلى ما لا تحمد عقباه بحيث كان إحدى أولاد الملك وهو هيمسال أول ضحايا هذا الصراع ليواجه أخيه الأكبر أذرباعل نفس المصير على يد يوغورطة وبذلك سيطر على الوضع في نوميديا، الأمر الذي وضعه وجها لوجه أمام روما التي رأت فيه خطر محدقا على مصالحها في المنطقة، و كذلك مستقبل مشروعها التوسعي في شمال إفريقيا .

---

1) – *Salluste, Guerre de Jugurtha*.
2) – *Salluste guerre de Jugurtha, V*
3) – *Salluste guerre de Jugurtha, VII*
4) – *Salluste guerre de Jugurtha, IX*
5) – *Gsell,st., H.A.A.N , VII ,p.138*
6) – *Salluste guerre de Jugurtha, VII*

وبعد أن وصلت محاولات التفاهم بين الخصمين إلى الطريق المسدود، أطلقت روما العنان لفرقها العسكرية فيما عرف بحرب يوغورطة التي امتدت من سنة *111 ق.م* إلى غاية *105 ق.م* تخللتها حملات عسكرية عديدة انتهت بهزيمة يوغورطة وسجنه[1]، ثم مقتله في بداية عام *104 ق.م* ومن أجل هذه الحرب كلفّت روما عدة قناصل باعتبارهم قادة الجيوش لمحاولة إخضاع يوغورطة فبدأ الحملة كالبور نيوس بيستيا عام *111 ق.م*[2]، لكنه لم ينجح في حملته والأخطر من ذلك إنه اتهم بقبول رشوة الملك يوغورطة لإنهاء الحرب، وبالتالي رفض له الترشح لولاية جديدة، وأوكلت مهمة الحرب للقنصل متيلوس *(Metellus)* عام *109 ق. م*، بعد أن تعرض الجيش الروماني إلى هزيمة نكراء على يد الجيش النوميدي أثناء توجه البينيوس*(Alpinius)* إلى روما وهو الذي قاد الحرب خلال سنة *110ق.م* خلفا للقنصل بيستيا، وخلافة أخيه على رأس الجيش الروماني في إفريقيا، وفي أول مواجهة بين ميتولوس و يوغورطة في زاما انهزم الجيش النوميدي، وفي عام *107 ق.م* خاف القائد ماريوس[3]، ميتولوس على رأس الجيش الروماني وبمساعدة سيلا*(Sylla)*[4] ، وكان له شرف القبض على يوغورطة و إنهاء الحرب، و بذلك انتهت أول و أخطر محنة واجهت الجيش الروماني منذ سقوط قرطاجة سنة *146 ق.م*

---

1) – *Salluste guerre de Jugurtha, CXIII*
2) – *Gsell, st., H.A.A.N , VII, p.154*
3) – *Salluste guerre de Jugurtha, LXXXIV*
4) *Gsell, st., H.A.A.N , VII, p.241*

بعد انتهاء هذه الحرب وصل الجيش الروماني مهمة ضمان المصالح الرومانية في المنطقة، ولمدة طويلة من الزمن لم يواجه أزمات كبرى باستثناء غارات البدو والرحل على أراضي المقاطعة الإفريقية إلى حين اندلاع الحرب الأهلية بين أنصار بومبي وقيصر التي عرف المسرح الإفريقي جزءا من مجرياتها[1]، بحيث واجهت قوات قيصر التي كانت تمثل الإدارة المركزية في روما، أزمة كادت أن تعصف بقواتها ونفوذها في شمال إفريقيا، وذلك بعد أن تحالف الملك يوبا الأول مع أعداء قيصر وبذلك فرض على قيصر مواجهة أعدائه من الرومان و النوميديون، والتي خرج منها منتصرا سنة *46 ق.م* بعد معركة *تابسوس*[2] التي لم تكن لتتحقق لولا عبقرية قيصر العسكرية في مواجهة جيش يفوقه عددا وعدة.

وبذلك حقق أهم انجاز للجيش الروماني، ذلك أن بعد انتحار يوبا الأول[3]، قام قيصر بضم المملكة النوميدية إلى أملاك الشعب الروماني وبذلك أسس للمقاطعة الإفريقية الجديدة التي أوكل مهمة تسييرها إلى صديقه سالوست[4]، ثم وضع على رأسها يوبا الثاني ابن يوبا الأول الذي تولى الرومان تربيته وتأهيله لمثل هذه المهمة الصعبة، بعد فشل محاولة القائد النوميدي أربيون[5] في منع قوات قيصر في التوسع على حساب مملكة أجداده، وخاصة بعد أن تجرأ قيصر على منح منطقة محاذية للمقاطعة الإفريقية القديمة *(Africa-Vêtus)*¡ لمرتزق سيتوس¡ الخطوة التي اعتبرها أربيون إهانة لا يمكن السكوت

---

1) – *Pseudo César, La Guerre D’Afrique, I, trad. collection Nisard, 1865, Paris.*
2) – *Gsell ,st. ,H.A.A.N, VIII, p.136*
3) – *Pseudo César, La Guerre D’Afrique, 94*
4) – *Pseudo César, La Guerre D’Afrique, 97.*
5) شنيتي،م.ب.، *1985*،ص.69.

عنها، لكن المعطيات لم تمهله لتحقيق حلمه المتمثل في استعادة مملكة أجداده كما لم تمهل الحياة قيصر لتنفيذ مشاريعه بعد أن تم اغتياله في روما من طرف أعضاء مجلس الشيوخ[1].

لكن الانتصار على أربيون أمر يضاف إلى الانجازات المحسوبة للجيش الروماني في شمال إفريقيا، وفي أقل من ثلاث عقود عن هزيمة أربيون، وجه الجيش الروماني أزمة جديدة كادت أن تعصف به وبمصالح الأمة الرومانية في المنطقة وهي حرب قادها ثائر نوميدي أخر وهو ما عرف بحرب تكفاريناس بين سنتي *17 م – 24 م* التي من أهم أسبابها على ما يذكر شنيتي[2] التوسع الروماني نحو الجنوب على حساب أراضي قبائل المز ولامي والجيتول، الذين حاولوا بكل الطرق التوصل إلى أرضية تسوية مع الرومان الذين رفضوا الشرط الأساسي للسكان الأصليين المتمثل في الانسحاب من أراضهم[3]، ما أدى إلى تصادم عنيف بين القوات النوميدية بقيادة تكفاريناس من جهة وفيالق الجيش الروماني وبمساندة قوات يوبا الثاني من جهة أخرى[4]. فدامت الحرب سبعة سنوات، انتهت بانتصار الجيش الروماني، لكن ليس قبل أن يستنزف قوات كبيرة ويفقد عدة جنرالات من جيشه[5]، ولنا أن نعود إلى الفصل القادم بالتفصيل إلى هذه الحرب التي صدمت الرومان واعتبرت مفخرة للمقاومة الوطنية ضد الاحتلال والتوسع الروماني في إفريقيا.

---

1) *Cagnat, R., 1913, p.24 –*
2) شنيتي .م.ب.، *1984*،ص*.52*
3) *Tacite, Annales, III.3, 73.-*
4) *Cagnat, R., 1913, p.8-*
5) *Tacite, Annales, III, 3,20 ,21.-*

الأمر الذي يذكرنا من جديد بالأهداف الحقيقية للتواجد الروماني في المنطقة وهو ما يضع ملاحظات مومسان و قزال [1] وغيرهم من مؤيدي نظرية التواجد العفوي والايجابي للقوات الرومانية في شمال إفريقيا محل شك عميق،إلا أنها تبقى انجاز آخر يضاف إلى العبقرية العسكرية الرومانية، وبمجرد نهاية حرب تكفاريناس أثار أمر مقاومة أهالي هذه المناطق انتباه القادة الرومان وبالتالي قاموا بنقل المقر الرئيسي للفرقة الأغسطية الثالثة إلى منطقة تباست[*]، نظرا للإستراتيجية التي يحتلها الموقع من الناحية العسكرية قبل أن يتم نقل المقر نفسه لاحقا إلى لمباز ليستقر هنالك إلى غاية زوال التواجد الروماني في المنطقة بحلول القرن الخامس الميلادي وهو ما أطلق عليه كانيا "*العاصمة العسكرية للجيش الروماني في شمال* إفريقيا، والتي شيدت فيها أكبر قاعدة عسكرية في العالم القديم و لا تزال أثارها قائمة إلى اليوم، وهو الانجاز الذي أبهر الباحثين والمؤرخين قديما وحديثا بسبب ما وصلت إليه التقنية والتنظيم العسكري للجيش الروماني ولا يزال الموقع الأثري في منطقة لمباز شاهد على هذا الانجاز الضخم[2].

وبعد وصول كاليقولا إلى سدة الحكم في عام *37.م* [3] أحدث تغيرات عميقة في قيادة الجيش الروماني في شمال إفريقيا، فعوض القائد السابق المتمثل في البروقنصل بشخص الليغا التابع مباشرة لأوامره، بحيث أوصله طموحه إلى حد قتله للملك بطليموس في عام *40.م*، الأمر الذي كان وراء ثورة عارمة بين السكان المحليين انتقاما لمقتل

---

1) - *Gsell, st., H.A.A.N, V, VII, p.118.*
2) - *Cagnat, R., 1913, p.458.*
3) – *Le Bohec, Y., 1989, p.120.*

ملكهم لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وهو مصير كل المحاولات اللاحقة للسكان الأصليين في مواجهتهم للجيش الروماني[1].

وهو ما يمكننا من خلاصة مهمة و التي مفادها أن الجيش الروماني حقق انجازات عسكرية هامة مكّنت الإدارة الرومانية السياسية في تنفيذ مشاريعها الاستعمارية والاستيطانية في المنطقة لمدة طويلة من الزمن، يعود الفضل في نجاحها إلى احترافية هذا الجيش و تنظيمه المحكم في إفريقيا.

2 - الانجازات الاقتصادية و السياسية

كانت تصريحات كاتون أمام مجلس الشيوخ بمقولته المشهورة *"يجب تدمير قرطاجة"*[2] وهو يحمل في يده حبات من التين ليضيف أنها على بعد ثلاثة أيام من روما[3]، ملخّص التفكير الروماني لأهدافه الاقتصادية و السياسية وراء حملاته العسكرية ضد الدولة القرطاجية خاصة أثناء الحرب البونية الثالثة، لأن في تلك الفترة كانت قرطاجة أضعف بكثير من أن تمثل تهديد صريح للقوة الرومانية التي اتخذت من هذا الشعار ذريعة لشن الحرب[4].

---

1 – يكمن فشل كل محاولات المقاومة الإفريقية في الهزائم التي ألحقها الجيش الروماني بالمقاومة الإفريقية منها فشل يوغورطة و تكفاريناس في صد التوسع الروماني في المنطقة

2) شنيتي،م،ب.، 1984 ،ص. 85 .

3) شنيتي،م،ب.، 1984 ،ص. 85

4) شنيتي،م،ب.، 1984 ،ص. 85

وبالتالي يمكن لنا الأخذ بالإطماع الاقتصادية و الأهداف السياسية كسبب وراء تلك الحرب وهو ما ظهر مباشرة بعد سقوط قرطاجة عام *146 ق.م،* بحيث تهافت رجال الأعمال والمستثمرين على الأراضي الزراعية والنشاط الفلاحي في مقاطعة إفريقيا القديمة وعملوا على قدم وساق للإفشال كل خطط الاستيطان في تلك الأراضي وأشهرها محاولة كايوس غراكوس *122 ق.م*(1)، حتى تخلوا لهم الساحة للاستغلال خاصة أن معظم المستثمرين الكبار إن لم يكن جلّهم من الشخصيات النافذة في مجلس الشيوخ الروماني وبالتالي فالمؤامرة كانت بسابق إصرار وتعمد وراء تدمير قرطاجة، حيث يذكر لنا البشير شنتي عدد *12000* ألف روماني يعملون في الزراعة بحاول سنة *46 ق. م* (2) وهو عدد لا يستهان به .

ومع إرساء الرومان لأقدامهم في المنطقة حتى بدءوا في تنفيذ إجراءات دقيقة ومعقدة لضمان حيازة أراضي افريقية باسم ملك الشعب الروماني، وبالتالي أعطوا صبغة قانونية وشرعية لتلك الأراضي وذلك بعملية المسح التي نهض بها مهندسو الفرقة الأغسطية الثالثة في الجيش الروماني(3)، وهو ما يعيد للأذهان الدور الرئيسي الذي لعبه الجيش الروماني في إفريقيا لضمان المجال الحيوي للدولة الرومانية، ولو لا تلك السياسة المنتهجة من طرف الجيش لما تمكنا المستثمرين من إنجاح مشروعهم الاقتصادي(4).

---

[1]) شنيتي،م،ب.، *1984* ،ص.*51*

[2])- شنيتي،م،ب.، 1984 ،ص .52.

[3]) - شنيتي،م،ب.، 1984 ،ص .57

[4]) - شنيتي،م،ب.، 1984،ص.53. 58.57.

وكان من بين السياسات الرسمية للدولة الرومانية توفير الأمن لإنجاح عملية الاستثمار، ولبدا أن الوسيلة الوحيدة لتوفير الأمن هو الجيش الذي كان يطبق السياسة الرسمية لروما، وذهب بعيدا الجيش الروماني في الدور الاقتصادي الذي لعبه عندما قام بتوسيع حدود المقاطعة الإفريقية في كل الاتجاهات لإرضاء رجال المال والمستثمرين باحتلال أراضي جديدة وخاصة الخصبة منها، فلم تكون المقاومة العسكرية للأهالي والحروب المثارة ضد الفرق الرومانية عائق لتحقيق هذا الهدف الاقتصادي الذي اعتبرته السلطات الرومانية حيويا لإرضاء سادة روما و كذلك توفير الغذاء لشعبها والتخلص من الضغوط الداخلية التي تواجهها خاصة بعد الأزمة الاقتصادية التي خلقتها الحروب البونية لدولة الرومانية.

وبذلك طبق الجيش الروماني سياسة "حد السيف" للسيطرة على أراضي السكان في حملات منظمة لم يتوانى بعض المؤرخين بوصفهما بالسياسة الامبريالية[1]؛ وخير دليل على ذلك حملات الإمبراطور تبيريوس ضد قبائل الجيتول والمز ولامي التي أدت إلى حرب طويلة بين الطرفين فيما سمي بحرب تكفاريناس، والتي انتهت باستحواذ الجيش الروماني على أراضي خصبة وشاسعة تبعته عملية قتل وتهجير أصحابها نحو المناطق الجبلية والصحراوية القاحلة التي لم تسلم بدورها من الغزو والاستغلال لما كانت

---

[1]) ليون همو 1953.(L’Italie Primitive et Les Débuts de L’impérialisme Romains)، ص316،نقلا عن شنيتي ،م،ب، 1984،ص64

الفرصة لفعل ذلك في أوج التوسع الروماني والتبعية الاقتصادية لروما بمقاطعتها خاصة بعد فشل محاولات النهوض بالاقتصاد الروماني في ايطاليا[1].

ولم تنتهي هذه المهمة الموكلة للجيش الروماني إلا بنهاية الأراضي الخصبة في كل شمال إفريقيا وحتى الجبلية منها تحت شعار *"من أحيا أرض مواتا فهو له"*[2]

فكان من أبرز سياسات الديكتاتور قيصر ووعوده للجماهير الرومانية عقب حملته في الحرب الأهلية هو فتح المجال للاستثمار في كل أراضي إفريقيا، و الملاحظ أن في تلك الفترة تغيرت نظرة الساسة الرومان اتجاه حملات الاستيطان بصفة جذرية بعدما وجد فيها سادة روما الوسيلة الأمثل في تطبيق و إنجاح سياسة الرومنة في إفريقيا ضمن مخططاتهم الرامية إلى تطبيق المشاريع السياسية في المنطقة ، لذلك بادر قيصر مباشرة بعد انتصاره لوضع حد لكيان المملكة النوميدية التابعة ليوبا الأول وتحويلها إلى مقاطعة إفريقيا الجديدة لاستيعاب العدد المتزايد من المستثمرين الرومان خاصة فئة قدماء المحاربين، وهذه السياسة نفسها هي التي دفعت يوبا الأول للوقوف مع خصوم قيصر ذو النوايا الاستيطانية[3].

وباعتبار الجيش الروماني كان مؤسسة متكاملة من وحدات قتالية ووحدات الهندسة فإنه انتهج سياسة إلحاق الأراضي من خلال إستراتيجية شهيرة لخصت في مسح الأراضي التي تم احتلالها بالقوة لتضاف إلى أملاك الشعب الروماني، فمباشرة بعد

---

[1] - شنيتي ،م،ب.، 1984،ص. 74.73.
[2]- شنيتي ،م،ب.، 1984،ص. 64.
[3]- شنيتي،م،ب.، 1985،ص. 128.

الاستحواذ على الأراضي من طرف الوحدات القتالية تقوم فرق الهندسة العسكرية، بإحصاء الأراضي وتقسيمها إلى مساحات متساوية[1] لتسهيل عملية مراقباتها لأن وراء هذه الإجراءات التي تسمح بإعطاء الصبغة الرسمية والشرعية لهذه الأراضي يكّمن هدف آخر ذو أهمية اقتصادية و سياسية بالغة وهو تسهيل عملية جمع الضرائب والتحكم في عملية استثمار الأراضي من طرف رجال الأعمال وممثلي الدولة الرومانية و ما ينجر عن هذه العملية من عائدات مالية ضخمة تمكن خزينة الدولة من تمويل مشاريعها المختلفة الأمر الذي من شأنه ضمان الاستقرار السياسي للدولة[2] .

وكّلت مهمة حماية هذه المساحات الشاسعة للجيش الروماني الذي قام بدوره بتنفيذ إستراتيجية تحكّم تخفف عنه من ثقل هذه المهمة خاصة في المناطق المحاذية للجبال والتخوم المواجهة للقبائل البدوية التي تغزو الأراضي الزراعية مخلفة قلق شديد للسلطات الرومانية [3].

وتبعا لهذه الإستراتيجية منحت قدماء المحاربين أراضي تختار بعناية حسب موقعها على التخوم أو موقعها الاستراتيجي بهدف استغلالها ومراقبة البدو[4]، ومنعهم من تعكير أجواء الاستثمار في الأراضي المحتلة[5]، كما ذهبت الإدارة العسكرية بعيدا عندما قامت بتسليح المعمرون الرومان لدفاع عن ممتلكاتهم ضد الخطر الذي يشكله السكان الأصليون خاصة البدو منهم، و هي العملية التي شبهها كانيا بعملية التسليح التي قامت بها

---

1)- شنيتي،م،ب.، 1984،ص.52.
2) - شنيتي،م،ب.، 1984،ص.87. 90
3)- شنيتي،م،ب.، 1984،ص.5352.97.98.
4)- Cagnat, R.,1913, p.411.
5)- شنيتي،م،ب.، 1984،ص.52.53.

القوات الفرنسية في الجزائر"للكلون" المستغلين للأراضي الزراعية في الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي[1].

إلى ذلك أخذت الدولة الرومانية على عاتقها عملية التدخل المباشر في حالة تفاقم الأزمة وعدم قدرة قدماء المحاربين والمسلحين من المستوطنون لمواجهة التمرد في أي نقطة من ربوع المقاطعات الإفريقية، فقام بإنشاء الطرق وأبراج المراقبة لتسهيل عملية التدخل السريع وكذا نقل خيرات هذه البلاد باتجاه الموانئ والمدن الكبرى[2] .

وبذلك نجح الجيش الروماني في انجاز المهمة الرئيسية التي من أجلها حارب طويلا في إفريقيا، وشهد له المؤرخين[3] بضخامة العمل الذي قام به في سبيل الانتعاش الاقتصادي للأسواق الرومانية ولإثراء خزائن الدولة الرومانية من خلال التحكم في الجباية وذلك بالتقسيم المحكم للأراضي[4]، كما نجح في فرض الثقافة و الإدارة الرومانية من خلال ضمانه لأمن المستوطنون و كذا موظفي السلطة الرومانية الرسمية بكل أنواعهم ممهدا بذلك الطريق أمام مشروع الرومنة الذي طبق بطريقة ممنهجة إلى غاية سقوط الإمبراطورية[5] .

و من جهة أخرى ضمن الجيش الروماني المتواجد في إفريقيا نفوذ السلطة الرومانية وتحكمها في الأسواق التجارية بسيطرته على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط

[1] Cagnat, R., 1913, p.261 (

[2] Cagnat, R., 1913, p315.316 - (

[3]) - شنيتي،م،ب.، 1984،ص.55.

[4])- شنيتي ،م.ب.، 1984. ص. 52.

[5])- شنيتي ،م.ب.، 1985.ص.77.775.

الأمر الذي سمح لروما بتبوء مكانة المدينة العالمية لمدة طويلة من الزمن لم تزول إلا بزوال سيطرتهم على إفريقيا.

و بالعودة إلى عملية المسح المنتهجة من طرف الجنود المختصين في الميدان ونظرا للأهمية البالغة لهذه العملية تم تخليدها في نقش تذكاري اعترافا بالجميل الذي قدمته الفرقة الأغسطية الثالثة في هذا المجال الحيوي[1] ، ومع مرور الوقت أصبحت هذه العملية ممنهجة بانتظام وسنّت لها قوانين وتشريعات لتسييرها وجبايته[2](*).

وإذا نظرنا بعمق إلى مغزى عملية الاستغلال الفلاحي و السياسة التي طبقتها الدولة الرومانية في ربوع إفريقيا يظهر لنا دور الجيش في مقدمة الأحداث وبذلك كان الضامن الرئيسي للمصالح الاقتصادية والسياسة لروما في هذه المنطقة خاصة في الأراضي التي صنفت بالأراضي الإمبراطورية وهي المناطق التي تم احتلالها حديثا مقارنة بالأراضي التابعة للمقاطعة الإفريقية القديمة و صنفت على هذا النحو تبعا للأوضاع الأمنية القائمة فيها فمن المنطق أن نتصور أن المناطق التي احتلت واستغلت لفترة طويلة أصبحت أكثر أمنا وبالتالي أكثر ملائمة للاستغلال والاستيطان عكس المناطق التي ما تزال تشهد اضطرابات وتمرد من السكان المالكين للأراضي والرعاة الرحل،

---

1)- شنيتي ،م.ب.، 1984. ص. 57.

**) لتفاصيل أكثر حول التشريعات المنظمة لعملية الجباية في الأراضي الإفريقية، انظر شنيتي ،م،ب.، 1984،ص77،و ما يليه.*

2) - شنيتي ،م.ب.، 1984، 81.80.79.78.77.57

وبالتالي لعب الجيش دور كبير في هذه المناطق لضمان فرص الاستغلال للمستثمرين و المستوطنون الرومان[1].

وكانت نتائج هذه السياسة وحدها كافية للتعبير عن هذا الانجاز الهام إذ وصلت عملية الاستغلال أقصى ما يمكن أن تتحمله الأراضي الإفريقية حتى شملت الزراعة الأراضي الجبلية وحدود الصحراء في عهد الأباطرة السيفريون[2].

وإن كان الهم الوحيد للمستثمرين الرومان هو فلاحة الأرض والثراء من وراء ذلك فإن الجيش أنجز مهام أخرى لا تقل أهمية على عملية احتلال الأراضي ومسحها أو توفير الأمن فيها، بحيث نهض بمهمة انجاز شبكة معقدة من الطرقات عبر كل تراب الولاية الإفريقية بهدف السيطرة عنها وكذلك نقل الغلال إلى مراكز التخزين والموانئ لتنقل بعدها إلى أسواق روما[3] .

كما نجحوا من تزويد هذه الأراضي بنظام ري أبهر المهندسين المحدثين[4] فيما عرف بالقنوات التي ما تزال الآثار شاهدة عنها حتى اليوم، وكل ذلك لضمان الاستثمار الحسن لمقدراتها الاقتصادية في إفريقيا، فالسيطرة المطلقة التي فرضها الجيش الروماني على أراضي إفريقيا سمحت له بضمان القسط الأعظم من المواد الغذائية الممولة للسوق الرومانية من القمح والشعير والزيوت والعنب والبقوليات ما ترك المؤرخين يعبرون عن هذا الوضع بوصف إفريقيا: " *مطمورة روما*"، وإن كان ذلك مبالغ فيه أو على حساب

---

1)- شنيتي،م،ب.، 1984،ص.53.52.
2) - شنيتي،م،ب.، 1984،ص.68.
3)- شنيتي،م،ب.، 1984،ص.86.
4) - شنيتي،م،ب.، 1984،ص.107.106.

قوت الأهالي(*)، و هو ما توضحه التشريعات التي تنظم عملية جناية الغلال من أراضي الفلاحين أفارقة كانوا أو رومان وفي معظمها لا تترك الشيء الكثير لصاحبها[1] ، فهي تشبه إلى حد بعيد عملية استرقاق أكثر منها عملية استثمار، و ربما أهمية الغلال الإفريقية هي التي دفعت مجلس الشيوخ للإشراف المباشر على المزارع الإفريقية خاصة مزارع القمح منها[2]، لما لهذه المادة الغذائية من أهمية في حياة المجتمع الروماني، بحيث ازداد التعلق بالقمح الإفريقي بعد تراجع المحصول المصري[3].

و كان لمبالغة المؤرخين في وصف الغلال الوفيرة التي تحتويها الأراضي الإفريقية قديما وفي مقدمتهم المؤرخين الفرنسيين دافع النزعة الاستعمارية واعتبار أنفسهم ورثة الحضارة الرومانية وبالتالي السعي الحثيث لتعجيز الفرد الإفريقي والتقليل من قدراته لتبرير احتلالهم للمنطقة في التاريخ الحديث، لكن المؤكد هو أن الآثار التي وجدت في هضبة تبسوكوتو تؤكد الحجم الكبير للمواد الزيتية والقمح التي كانت تنقل إلى روما.

3-انجازات البحرية العسكرية الرومانية

" إن ايطاليا لم يصيبها الجدب، لكننا نفضل استغلال إفريقيا و مصر ¡ لقد أصبحت حياة الشعب الروماني رهنا بالسفن"[4]، من خلال هذه الفقرة المعبرة للمؤرخ تاسيت نستنتج الدور الذي كان على القوات البحرية للجيش الروماني في إفريقيا أدائه في

[1]) *انظر شنيتي،م،ب.، "التغيرات الاقتصادية ..." فيما يخص نسبة الجباية المفروضة على الغلال من طرف الدولة الرومانية ص76-77 و ما يليها*

[2]) *– الناصري، م، ع.، 1991، ص.62.*

[3])*- الناصري، م، ع.، 1991، ص.71.*

[4]) *Tacite, Annales, XII, XLIII-*

ضمان أمن وسلامة القوافل المحملة بالغلال إلى روما عبر مياه المتوسط التي كانت تعج بنشاط القراصنة المشكلين عائق مقلقا أمام السير الحسن للحياة الاقتصادية بين روما وولايتها.

ولهذا قامت بشن حملات عديدة ضد قراصنة المتوسط أشهرها الحملة التي قادها كانيوس(*Canius*) وكذلك مرسل نيوس(*Marcilinius*) الذي كلف بالدفاع عن السواحل الإفريقية[1] بالإضافة إلى الجهد الذي بذله بومبي في هذا المجال، ولا شك أن الدافع الرئيسي من هذا العمل كان حماية التجارة في المتوسط كما عبر عن ذلك ستيفان غزال:*حدث جراء انتشار القراصنة قلق عظيم على الطعام بروم* [2] ، وهو ما يؤكد لنا الأهداف التي كانت وراء بذل كل ذلك المجهود العسكري الهادف لحماية الاقتصادي الروماني في الدرجة الأولى وبلغ الأمر بمجلس الشيوخ إلى استحداث قوانين تخول السلطة لبومبي بصفة مطلقة لمدة خمس سنوات مع توفير كل ما تتطلبه العملية من أسطول وجيش لحماية عملية نقل القمح نحو روما .

ومن المؤكد أن الإجراءات نفسها قد طبقت على الولايات الأخرى التي كانت تساهم بدورها في المجهود الاقتصادي لصالح روما بحيث قام مجلس الشيوخ الروماني بتوزيع القادة على مختلف مناطق الإمبراطورية المتخّمة لشواطئ المتوسط[3] ، ما يؤكد مرة أخرى السياسة المنتهجة من طرف السلطة الرومانية والأهداف البعيدة وراء السيطرة

---

[1]) *قزال،س.،2007ج07،. ص 25 .*
[2]) *قزال،س.،2007،ج 07. ص 25*
[3]) – ورث،ت.، 2003،ص.52.

العسكرية على الشعوب القديمة، وربما زادت من حدة التعلق بالمقاطعة الإفريقية كما هو حال المقاطعات الأخرى في مصر، وبلاد ألغال واسبانيا بعد تدهور الحالة الاقتصادية في شبه جزيرة ايطاليا وتراجع المحصول فيها، بالإضافة إلى النمو السريع لسكان روما بعد نهاية الحروب الكبرى.

إلا أن ما يجعل المقاطعة الإفريقية ذات أهمية خاصة هو موقعها المقابل لجزيرة صقلية إذ من المعلوم أنها لا تبعد أكثر من *140* كلم على مدينة أوتيكا التي تعتبر عاصمة الولاية بالإضافة إلى مناخها المعتدل وخصوبة وشاسعة أراضيها كما أن النقل البحري للسلع نحو أسواق روما يبقى الأسهل رغم خطر القراصنة مقارنة بالطرق البرية التي تعج بقطاع الطرق وخطر القبائل المناوئة.

ولتوضيح الصورة عن هذه الأهمية الاقتصادية البالغة للمقاطعة الإفريقية بالنسبة لروما خاصة في عملية تزودها بالقمح نتطرق إلى المنحى التصاعدي الذي عرفته عملية التزود بالقمح الإفريقي خاصة بعد أن بدء التوزيع المجاني للقمح على الشعب الروماني في عهد أوكتافيانوس(*Octave*) بحيث ارتفعت في عهد الإمبراطور نيرون(*Néron*) إلى ثلثي حاجيات الشعب الروماني من القمح والتي قدرها محمد البشير شنيتي بـ: *200* ألف طن[1] وإن كان الباقي يأتي من مصر .

فبذلك تصبح هاتين الولايتين الأهم على الإطلاق بعد أن حول الرومان أراضيهم الزراعية في ايطاليا إلى حدائق ومنازل فاخرة، وهو الأمر الذي يبرز الأهمية

---

[1]- شنيتي،م.ب.، *1984*. ص. *86*.

الخاصة التي أولاها مجلس الشيوخ بالسيطرة على البحر المتوسط، والوسائل المسخرة لهذه العملية تؤكد هذه النظرية، وإن كان بعض المؤرخون[1] يبالغون كثيرا في وصف غزارة الإنتاج في إفريقيا[2]

رغم هذه المبالغة فان الأمر لا يلغي الأهمية الاقتصادية لهذه الولاية بالنسبة لروما، وبحيث بقيت الولاية الوحيدة التابعة للإمبراطورية التي شرعت فيها قوانين خاصة فيما يخص الجيوش الرابضة على أراضيها إذ أن تشريع عام *27 ق.م* [3] وضع الفرقة الأغسطية الثالثة كحالة خاصة على خلاف جيوش الإمبراطورية، وتعيين الإمبراطور كاليقولا قائد خاص لهذه القوات المتمركزة في إفريقيا سنة *37 م* تابع مباشرة لأوامره لم يكن من إجراءات الصدف التاريخية[4].

وإنما السر في الأمر يكمن في الأهمية الاقتصادية و السياسية البالغة التي تحتلها الولاية بالنسبة لروما و لا نستبعد أن تعمد روما على عدم تركيز قوات كبيرة في المنطقة وسحب القيادة العسكرية من البروقنصل في الولاية كان الهدف منه هو عدم الرغبة في عسكرة الولاية ما ينتج عنه تكاليف باهظة وكذلك درئ خطر الحكام من استفزاز الحكومة المركزية ومساومتها بالقمح الإفريقي أو الانفصال، وهو ما قد يحدث أثار بليغة في روما، ولنا أن نتصور قطع التموين عن هذه المدينة التي بلغت حدا لا يطاق من الاستيعاب السكاني والبطالين خاصة بعد نهاية الحروب البونية، وما من شأنه أن

---

[1]-(*Josef flavus,d’après Cagnat,R.,1913. p.315,* ،*ذكر فلافيوس إن إفريقيا كانت تزود روما بنصف حاجيتها الغذائية*

[2]-(*شنيتي،م،ب.، 1984،ص، 87.86.*

[3]-(*Le bohec, Y.,1989, p.119.*

[4]-(*Cagnat, R., 1913, p.124.*

يحدث اضطرابات خطيرة فيها، ولذلك عمل مجلس الشيوخ على إضعاف السلطة العسكرية في الولاية وفضل تكليف المهمة لحلفائه من ملوك نوميديا، وبعض الفرق الرومانية الخاضعة لأوامر الإمبراطور شخصيا.

لكن هذا الاهتمام الشديد بالولايات وعلى رأسها الولاية الإفريقية له ما يفسره عندما نلقي نظرة على الأوضاع الاقتصادية في شبه جزيرة ايطاليا فبعدما كان المزارعين الصغار أساس الاقتصاد الروماني، تغيرت الأوضاع بعد الحروب الكبرى التي شنتها روما ضد أعدائها إذ أن المزارعين أصبحوا وقود تلك الحروب وبالتالي لم يكن بمقدورهم مواصلة الزراعة وبالتالي أصبح أرباب المزارع الكبرى هم المسيطرون على الوضع بإنشاء ضيعات كبرى كانت اليد العاملة فيها تتكون في الأساس من العبيد، وبالمقابل شهدت نزوح سكاني كبير أغلبهم من المزارعين الصغار الذين باعوا أراضيهم أو من العائدين من الحروب وبذلك تأثرت الحياة الاقتصادية بشدة وكان على حكام روما تزويد الباحثين عن حياة الحضر و الترف في روما بالقمح والزيت درءا لخطرهم[1].

كما ساهمت الحروب الأهلية في إضعاف الاقتصاد الايطالي بشدة، ومن ثم تحولت الولايات إلى مطمورة أسواق روما وهي المهمة التي كلف بها الجيش المتمركز فيها لتأمينها، ولعله يعتبر أهم مهمة قام بها والتي سمحت باستمرار الكيان الروماني لمدة طويلة من الزمن ولذلك عمد سادة روما على إنشاء مستعمرات كفيلة بالقضاء على مشكلة البطالة كما هو حال قيصر بعد نهاية الحرب الأهلية الذي أنشأ مستعمرات في الولاية

---

[1] - *شنيتي،م.،ب.،1984.ص.86*

الإفريقية الجديدة[1] وهي السياسة التي دأب عليها الأباطرة الرومان إلى غاية سقوط الإمبراطورية ويبدو أنهم لم يكن لهم خيار آخر غير ذلك.

من خلال هذا التعريج على الانجازات التي حققتها الفرق الرومانية في إفريقيا في جميع المجالات الحيوية يمكن لنا استنتاج أمر مهم و هو أن هذه الانجازات المحققة كانت ضمن خطة مدروسة بدقة هدفها إخضاع المنطقة للمنطق الروماني المتمثل في التبعية المطلقة و الاستغلال غير المحدود لخيراته الاقتصادية، و استعمال كل الوسائل المتاحة بهدف إرساء السياسة الرومانية في إفريقيا بغض النظر عن الوسائل العسكرية والإدارية .

هذه الممارسات خلقت وضع صعب بالنسبة للأفارقة وبالتالي لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل حاولوا بكل الطرق مقاومة المد الاقتصادي، العسكري و السياسي الروماني في المنطقة، و هو ما عبرت عليه المقاومات العسكرية العديدة للاستعمار الروماني التي قادها الأفارقة طوال المدة التي جثم فيها الرومان في المنطقة، وهو ما نحاول التطرق إليه في الفصل القادم من الدراسة .

---

[1]- شنيتي،م،ب.، 1985،ص. 133.

الفصل الرابع

مقاومة يوغورطة، ارابيون تكفاريناس

الفصل الرابع

1- مقاومة يوغورطة

أسباب المقاومة

أحداث حرب يوغورطة:

أ- حملة بستيا (Bastia)

ب- حملة البينيوس(Alpinius)

ج- حملة متيلوس(Metellus)

د- حملة ماريوس(Marius)

2- مقاومة ارابيون

3- مقاومة تكفاريناس

كانت الظروف السياسية في منطقة إفريقيا عشية الغزو الروماني لأراضي قرطاجة مواتية تماما لما كان يصبوا إليه الرومان في الخطوة المقبلة المتمثلة في الاستقرار الدائم في المنطقة، إذ قاموا بتلطيف الأجواء مع حلفائهم المتمثلين في ملوك نوميديا بحيث أقاموا علاقات طيبة مع الملك ماسنيسا الذي يعتبر ابرز حليف لهم في الحرب البونية الثانية خاصة في معركة زاما الفاصلة بين القرطاجيون و الرومان[1] ، و اشتدت أواصل التحالف بينهم بعد نهاية الحرب البونية الثانية و أبلى البلاء الحسن في تمكين الرومان من تنفيذ خططهم ذلك بإرغام القرطاجيون لإعلان الحرب عليه هو ما اعتبر خرقا صريحا لأحد بنود اتفاقية زاما *201 ق.م* [2].

و إن كان ذلك لا يعني التبعية الصريحة لروما نظرا لمكانة الملك ماسنيسا بين ذويه و القوة التي اكتسبها مع توليه رأس العرش النوميدي،لكن قواعد اللعبة السياسية و بنود التحالف تقتضي منه لعب ذلك الدور البارز في مجرى تلك الأحداث التاريخية باعتبار أن كل من النوميديين و الرومان يعتبرون القرطاجيون عدو مشترك: فبالنسبة للملك ماسنيسا فان القرطاجيون احتلوا أراضي أجداده و كانوا وراء إبعاده من العرش عقب وفاة أبيه،أما الرومان فصراعهم كان من اجل السيطرة علي المنطقة ضد القرطاجيون، و لهذه الأسباب دام التحالف بينهم لمدة طويلة جدا،إلى غاية وفاة الملك ماسنيسا عام *148 ق.م*[3]

---

[1]) – *Cornelius Nepos, Les vies des grands capitaines, IV, trad., Aemoysan, M ., 1841. Paris*

[2])- *Guillemin, J., 1885, p.231*

[3])- *شنيتي،م،ب.، 1984،ص.30.*

و نفس لأوضاع تقريبا كانت في فترة خلافة مكبسا إلى غاية *118 ق.م* سنة وفاته[1].

وإن كان هذا هو حال الملوك النوميديين في علاقتهم مع الرومان إلى غاية وفاة مسيبسا فان الأوضاع تغيرت بطريقة مأساوية بين الحلفاء الرومان و النوميديين بعده، ما أدى بهم إلى تصادم عنيف و هو الصراع الذي فتح أبواب المقاومة الوطنية ضد الجيش الروماني في إفريقيا.

وعلى مر الفترات التي سيطر فيها الجيش الروماني على منطقة إفريقيا لم تخمد المقاومة الإفريقية ضد الجيش الروماني،و إن اختلفت أسباب تلك المقاومات فمن الواضح أن الهدف كان نفسه و هو التحرر من قيود العبودية و الاحتلال، الذي فرضه جيش روماني ضخم لجئ إلى كل الوسائل الممكنة لجعل البلاد و السكان في خدمة رفاهية الأمة الرومانية الأمر الذي لم يتقبله القادة النوميديين[2].

و نظرا للفترة الواسعة التي دام فيها الاحتلال الروماني لإفريقيا و كذا تعدد المقاومات المضادة للرومان لم يكن بوسعنا الإلمام بها، و لذلك ارتأينا التطرق إلى ابرز المقاومات المحلية التي واجهت الاحتلال الروماني، واتخذنا من حرب يوغورطة، ارابيون و مقاومة تكفاريناس نموذجا لتلك المقاومة كون هذه المقاومات تدخل في الإطار الزمني لدراستنا الممتدة من سنة *146 ق.م* إلى غاية *40 م*، وكونها أيضا أهم المقاومات التي تصدت للتوسع الروماني في إفريقيا.

---

[1]) – *Gsell, st., H.A.A.N, VII, p.138*

و لكن يجب أن نشير إلى أن التطرق إلى مقاومة كل من يوغرطة و ارابيون و تكفاريناس ماهية إلى نموذجا على مقاومة الأفارقة باعتبار أن هناك مقاومات أخرى في فترات لاحقة للفترة التي نحن بصدد دراستها.

1- مقاومة يوغورطة

- أسباب المقاومة

كان أساس الخلافة في المملكة النوميدية أن تعود مقاليد الحكم إلى الذكر الأكبر سنا في العائلة الحاكمة، لكن عقب وفاة الملك ماسنيسا ظهر مشكل الخلافة الجماعية إذا ترك الملك المتوفى (ماسنيسا) عام *148ق.م*؛ مملكته بين أيدي أبنائه الثلاثة مسيبسا، غولوسة، مصتنبعل، و هي حالة فريدة في تاريخ النظام السياسي في المملكة النوميدية، و إن تحدث الكثير من المؤرخين عن الدور الذي لعبه القائد الروماني سيبيون اميليان في هذا التوزيع على أبناء الملك ماسنيسا[1] .

فإن هذا الدور يبدوا منطقي بالنظر إلى طبيعة العلاقة التي كانت تربط الطرفين النوميدي و الروماني من تحالف و ثقة ضد عدو مشترك، و كذا المصلحة العليا للرومان في بقاء المملكة مستقرة و خاصة أنهم لم يحسموا بعد معركتهم ضد قرطاجة، لكن سرعان ما عادت الأمور إلى سابق تاريخها بعد أن عجلت الموت بالأخوين غولوسة و مصتنبعل و بالتالي جمع مسيبسا مقاليد الحكم لوحده ثلاثين سنة

[1]– *Gsell, st., H.A.A.N, V, p.123*

عرفت استقرار و تحالف وثيق مع الرومان، بحيث قاد يوغورطة شخصيا فرقة الفرسان النوميديون في حرب النومانس *(Numance)* بإسبانيا إلى جانب القائد الروماني سيبيون اميليان، سنة *133ق.م* [(1)]، و هي الحادثة التي يذكرها المؤرخ سالوست في كتابه "حرب يوغورطة" على أنها بداية اهتمام الرومان بشخص يوغورطة، بحيث أشاد به القائد الروماني سيبيون شخصيا في رسالة للملك مسيبسا مفادها *"إن يوغورطة جدير بك و بجده ماسنيسا"*[2] إلا أن سالوست اعتبر أن بعث يوغورطة من طرف الملك النوميدي إلى حرب النومانس كان الهدف من ورائه هو تعريضه لأهوال الحرب أملا منه أن يلقي حتفه نظرا لما كان يعرف عنه من إقدام و شجاعة كبيرة[(3)] ، و بالتالي التخاص منه لما كان يشكله من خطر على أولاده، أذربعل و هيمسال، نتيجة طموحه الكبير[(4)] .

و بما أن أحلام مسيبسا لم تتحقق بقضاء يوغورطة في إسبانيا، لم يكن له خيار آخر سوى إشراكه في الخلافة مع أولاده و لذاك قام بتبنيه رسميا، وهو ما يجعل منه وريث شرعي [(5)] .

وإن بقيت عدة نقاط ظل في كل هذه العملية و السنة التي تمت فيها لأن المصدر الوحيد المتوفر لنا في هذا الموضوع هو كتاب سالوست *حرب يوغورطة* الذي دارت

---

[1]) – *Salluste, VII*
[2]) – *Salluste, IX*
[3]) – *Salluste, VII*
[4]) -.*Salluste, VI*
[5]) -.*Salluste, IX*

حوله شكوك عميقة نظرا لتناقضات الواضحة في المعلومات الواردة فيه، ورغم قرب سالوست إلى مصادر الموضوع بالنضر إلى نسبه القريب إلى القائد سولا احد ابرز القادة الرومان في تلك الحرب وكذا تبوئه مناصب هامة في الدولة الرومانية من بينها المسؤول الأول على مقاطعة إفريقيا الجديدة بتكليف من قيصر بعد انتصاره في الحرب الأهلية وضم مملكة نوميديا إلى أملاك الشعب الروماني سنة *46 ق.م* [1] ، ما يجعله في موقع الإطلاع على أرشيف الدولة الرومانية، إلا أنه يملك دوافع سياسية أخرى وراء تحرير هذا الكتاب كانت سبب عدم الاهتمام الدقيق من طرف المؤرخ بتفاصيل القضية و هو ما نبهنا إليه المؤرخ إبراهيم نصحي في كتابة التاريخ الروماني[2].

و رغم تشابك الأحداث فيما يخص قضية تبني الملك مسيبسا لابن أخيه يوغورطة إلا النتيجة كانت واحدة بحيث بعد وفاة الملك مسيبسا عام *118 ق.م*، تسلم المملكة ابنه هيمسال و أذربعل إلى جانب ابنه بالتبني يوغرطة، سواء كان ذلك بإشراف روماني مباشر الأمر الذي لم تؤكده المصادر التاريخية[3] بصفة قطعية أو قام الملك بهذا التقسيم قبل أن يتوفى ، و المعروف جيدا هو أن خلاف شديد حدث بين الأمراء الجدد على مملكة نوميديا[4]، انتهت بمقتل هيمسال سنة *117 ق.م*[5]، و حاول أخيه أذربعل إنقاذ الموقف

---

[1] *Gsell, st., H.A.A.N ,VII ,p.124* –(

[2] (*نصحي،إ.، 1972؛II: ص168: أنظر إلى تهميش الصفحة 168.*

[3] *Gsell, st., H.A.A.N, VII, p142.* –(

[4] *Salluste, VII* – (

[5] *Salluste, XII* - (

لكنه هزم في أول مواجهة له ضد يوغورطة، و هو ما دفعه للاستنجاد بالرومان للفصل بينهم و هو الموضوع الذي تحدث عنه سالوست[1] بإسهاب عندما عرض الخطاب الكامل الذي ألقاه أذربعل أمام أعضاء مجلس الشيوخ الروماني في روما، أين عبر عن ولائه للقيادة الرومانية وتبعيته المطلقة للدولة الرومانية في نبرة يحوزها التوسل وتفسر الوضع الصعب الذي كان فيه وعجزه عن مواجهة خصمه يوغورطة، فيما وصف يوغورطة بأنه عدو روما و مهدد مصالحها في المنطقة[2]، فقام المجلس الروماني فإيفاد بعثته إلى نوميديا يرأسها أوبيميوس بهدف فض النزاع بين المتخاصمين، وانتهت إلى نتيجة تقسيم المملكة النوميدية إلى قسمين عام *118 ق.م*[3] ، بحيث يظهر من خلال التقسيم أن الإدارة الرومانية أخذت بعين الاعتبار مصالح المقاطعة الإفريقية القديمة من خلال تقديم الشطر الشرقي للمملكة نوميديا لاذربعل الذي عبر عن ولائه لروما فيما كان هو في موقف ضعف ما يجعل منه غير قادر علي تهديد امن روما في المنطقة في حين كان من نصيب يوغورطة المنطقة الغربية التي تجاور مملكة موريتانيا[4] ، وبالتالي كان التقسيم يغني الرومان من عناء التدخل المباشر و الصراع مع يوغورطة و من جهة أخرى الأمل في نشوب صراع جديد بين يوغورطة ملك نوميديا الغربية و بوكوس ملك موريتانيا نظرا لطموح يوغورطة في التوسع الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى إضعاف الطرفين.

---

1) – *Salluste, XIII.XV*
2) – *Salluste, XIV*
3) – *Salluste, XVI*
4) – *Salluste, XVI*

لكن الأمر لم يدوم طويلا بحيث هاجم يوغورطة أخيه اذر بعل في عام *113 ق.م* و سيطر على عاصمته سيرتا في عام *112 ق.م*[1] ليتم له توحيد المملكة النوميدية بشطرها الشرقي و الغربي، في حين انتهت المعركة بين الإخوة بمقتل اذر بعل فان ما قام به يوغورطة فسر من طرف الرومان على انه تحدي صارخ لسلطتهم خاصة أن قوات يوغورطة قتلت رعايا إيطاليين في مدينة سيرتا[2] ، و هو الأمر الذي وضعه وجها لوجه أمام الرومان الذين لم يكونوا على استعداد لغض النظر عن مثل هكذا إهانة من طرف الملك النوميدي يوغورطة، و بعد هذه الأحداث الخطيرة اجتمع مجلس الشيوخ الروماني لنظر في القضية[3].

أنهى مجلس الشيوخ الروماني الاجتماع بقرار يقضي إلى ضرورة تأديب يوغورطة الذي تجرأ حسبهم على إهانة الشرف الروماني و بذلك أطلقوا الحملة العسكرية الأولى ضد الملك النوميدي سنة *112ق.م.*

بدأت الحرب رسميا في سنة *111 ق.م* بقيادة القنصل بيستيا، و هي واحدة من بين الحملات العديدة التي استمرت لمدة سبعة سنوات فيما عرف في التاريخ "بحرب يوغورطة" . تمت من خلال المواجهة المباشرة بين الجيوش الرومانية و جيش الملك يوغورطة و خلقت أوضاع سياسية صعبة في روما بين مؤيد و معارض لتلك الحرب و هو ما سنتناوله في أحداث الحرب.

---

1) – *Salluste, XXVI*
2) – *Salluste, XXVI*
3) – *Salluste, XXVII*

و يجدر بنا التنبيه لأمر مهم و هو أن حرب يوغورطة تم التطرق إليها من طرف المؤرخين الغربيين و العرب بشكل واسع و لذلك نحاول التطرق إليها من مبدأ الواجب حتى لا نفهم من خلال الدراسة أن الأفارقة لم يقوموا بأي مقاومة في وجه جيش الاحتلال الروماني، كما ننبه القارئ على أن اغلب من تطرقوا إلي حرب يوغورطة من المؤرخين استعانوا بصفة مباشرة بمؤلف سالوست *حرب يوغورطة*'[1] باعتباره المصدر الرئيسي و الوحيد المتوفر حول هذا الموضوع، و استنادا إلي الانتقادات التي تعرض لها هذا الكتاب نحاول وضع بعض الأمور في الموقع الذي نعتقده هو الصحيح على غرار حقيقة وصف يوغورطة بالراشي من طرف سالوست، و هو الهدف الرئيسي من دراسة نموذج يوغورطة في موضوع مقاومة الأفارقة.

- أحداث حرب يغورطة:

أ- حملة بستيا(Bastia)

كان لأحداث سيرتا عام *112 ق.م* واحتلال يوغورطة لمملكة آخيه أذرباعل السبب الرئيسي في الصدام بين يوغورطة والرومان بحيث أعتبر أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ما حدث في سيرتا إهانة وانتقاص من هيبة الدولة الرومانية، ولا نستبعد أن يكون الرومان اتخذوا من موضوع الشرف والإهانة ذريعة لشحذّ الهمم بين أفراد الشعب

[1]) *يبدو لنا استعمال مصطلح الحرب ليس في موقعه الصحيح في حالة الصراع بين يغورطة والجيش الروماني ،لان أغلب المؤرخين أخذوا هذه التسمية من عنوان كتاب المؤرخ اللاتيني "سالوست"حرب يغورطة ،فيما أن المنطقي هو مقاومة يغورطة لأنه كان في موقع الدفاع عن أراضي أجداده ضد الاحتلال الروماني*

الروماني وأعضاء مجلس الشيوخ الروماني لتقبل فكرة الحرب، لأن التمعن في الأحداث يظهر لنا الخطر الشديد الذي كان يحوم حول المصالح الرومانية في المنطقة وهو في رأينا الدافع الرئيسي لإعلان الحرب وليس نقض يوغورطة لاتفاق التقسيم مع أذربعل، كما اعتبرت فرصة لا تعوض لإمداد النفوذ الروماني خارج مقاطعة أفريقيا القديمة (*Africa vitus*) وهو ما يبرره تواجد العديد من التجار الرومان في سيرتا حين اقتحمت من طرف يوغورطة، في خطوة أولى نحو تنفيذ مشروعها في السيطرة على تجارة نوميديا وهي المصالح التي تبخرت مع سيطرة يوغورطة على كل نوميديا .

بالتالي كان لمجلس الشيوخ الروماني الذي يعتبر المعني الأول بالأمر كونه الهيئة التنفيذية الشرعية، وكذلك باعتبار معظم أعضائه هم المستفيدون من هذه الحروب والمصالح الاقتصادية، و لذلك اتخذ قرار إعلان الحرب.

وكلف مهمة قيادة الحملة إلى القنصل: *كلبور نيوس بستيا* [(1)] الذي قاد الجيش إلى إفريقيا عام *111 ق.م* [(2)] .

وكانت بداية حملته قوية لكن سرعان ما توقف عن القتال ودخل في مفاوضات مباشرة مع يوغورطة، أفضت حسب سالوست إلى اتفاقية وقف القتال، وهو (سالوست) من أوعز هذا التوقف إلى الرشّوة التي تحصل عليها بستيا في كتابه *حرب يوغورطة*[(3)]

---

1) – *Salluste, XXVII*
2) – *Salluste, XXVII*
3) – *Salluste, XXVIX.*

،لان التحقيقات فيما بعد التي جرت في روما لم توجه له تهمة الرشوة لغياب أي دليل عن ذلك وإنما اتهم القنصل بيستيا بتوقيع اتفاق ضد العدو قبل الانتصار وهو ما يخالف التقليد الروماني كما اتهم بالاتفاق مع يوغورطة دون أمر من مجلس الشيوخ و لذلك ألغيت الاتفاقية.

لكن قبل أن يتوجه إلى إفريقيا قام بحشد جيش ضخم وكل ما تتطلبه حرب كان الرومان على دراية مسبقة بقسوتها بالنظر إلى معطيات الميدان المجهولة وكذا طبيعة النوميديون القاسية والتي أصبح الرومان لا يستهينون بها خاصة بعد ما لحقهم من مآسي على يد جيوش حنبعل والفرسان النوميديون في معارك الحروب البونية الثانية[1]

ولذلك اتخذوا كل احتياطهم في هذه الحرب التي أرغموا على خوضها انتقاما لشرفهم الذي أهانه يغورطة في سيرتا حسبهم، وكان إلى جانب القائد بستيا مساعده *سكاوروس أمليوس*[2] *(Scauros Aemilius)* الذي يعتبر الضامن لسير الحسن للحملة كونه أشد المعارضين ليوغورطة، لكن الأمور تغيرت كثيرا بوصول الجيش الروماني إلى الأراضي الإفريقية، وبعد معارك متفرقة ذات أهمية قليلة[3] ، تمكّن الملك يوغورطة من استمالة القائد بستيا ومساعده وبذلك قبلوا اتفاقية الهدنة معه دون استشارة مجلس الشيوخ الروماني حول إنهاء الحرب كما يذكره سالوست ، وهو ما كان مخالف لتشريع الروماني كما اتخذ منه سالوست موضوع خصبا لاتهام خصومه بقبول الرشوة على حساب الشرف

Gsell, st., H.A.A.N ,VII,p.155.- (1

Salluste, XXVIII. - (2

Salluste, XXVIII.- (3

العسكري وهيبة روما، ونصت الاتفاقية بين الطرفين على إنهاء الحرب وبقاء الملك على رأس مملكته مقابل دفع ثلاثين فيلا وخيول ومواشي[1] وإن كان الهدف المعلن لبستيا من قبوله الهدنة مع يوغورطة تمثلت في كونه تحصل على عهد من يوغورطة بقبول الاستسلام والتبعية لروما، إلا أن المصالح الشخصية للقنصل بيستيا لا تستبعد من الحسابات[2]

إذ مباشرة مع بداية الهدنة ذهب إلى روما بهدف الترشح لمنصب القنصلية مجددا، تاركا الجيش الروماني في شمال إفريقيا[3] ، وبوصوله إلى روما أتهم بقبول الرشوة من قبل يوغورطة[4] ، ونظرا إلى الجدال الذي دار بين المؤيدين والمعارضين له استوجب الحال الاستماع إلى شهادة الملك يوغورطة نفسه[5] ، وهو ما يتطلب منه الحضور إلى روما شخصيا تحت ضمانة شرفية مسبقة عن حياته[6].

وفي أثناء مكوث الملك يوغورطة في روما لتسوية المسألة حدث ما لم يكن في الحسبان، بحيث اغتيل *ماسيفا (Massiva)*[7] ; الذي يعتبر أحد أبناء عمومة يوغورطة ووجهت مسؤولية الجريمة للملك وهو ما أعتبر بطريقة ما كنقض المعاهدة التي وقعها بستيا و يوغورطة.

---

[1]) – *Salluste, XXVIX*
[2]) – *Salluste, XXVIX*
[3]) – *Salluste, XXVIX*
[4]) – *Salluste, XXXI*
[5]) – *Salluste, XXXII*
[6]) – *Salluste, XXXII*
[7]) – *Salluste, XXXV*

وبافتراض أن يوغورطة هو المسؤول عن مقتل ماسيفا فإن الأمر يستحق الكثير من الأسئلة ويترك علامات استفهام يصعب التحقق منها، إذ كيف له أن يقترف جريمة في قلب روما وهو المتواجد فيها بضمان عمومي عن حياته، دون أن يخشى على حياته أو الإخلال بعلاقته مع روما وهو ما لا يدعوا إلى الشك في حالة ثبوت الجريمة المنسوبة إليه، كما لا نستبعد أن الجريمة اقترفها المعارضين داخل مجلس الشيوخ الروماني لتفاهم مع الملك يوغورطة إما بدافع الكبرياء أو سعيا للحصول على مجد عسكري بمحاربة الملك، غير انه لا توجد آي مؤشرات تاريخية تجعلنا نثبت هذا الرأي، وفي كل الأحوال فان الشيء المؤكد هو غياب نية التفاهم وتلافي الحرب إما من جانب أو آخر، والمنطقي في القضية أن قبول يوغورطة للتبعية المباشرة لروما ودفعه غرامة حربية وإعلانه الخضوع التام للجمهورية في اتفاقيته مع القنصل بستيا يكفي لتبرئة الشرف الروماني الذي كان وراء إعلان الحرب كما يعبر عن ذلك ستيفان قزال[1] .

ب- *حملة البينيوس(Alpinius)*

بمقتل ماسيفا تسارعت أحداث قضية حرب يوغورطة وأخذت منحى خطير، إذا بعد أن ظهر أمل في التواصل إلى تفاهم ينهى الحرب بين الملك النوميدي وروما، عادت

(1)- قزال ، س.،2007 ، ص 153.

الأمور إلى نقطة الصفر، وعادت الحرب من جديد، فقامت روما بتكليف القنصل البينيوس بقيادة الجيش الروماني في إفريقيا ضد يوغورطة سنة 110ق.م [1] .

وبعد مدة قصيرة من الزمن اتجه البينيوس إلى إفريقيا لقيادة الجيش الروماني لكن العبقرية العسكرية ليوغورطة حالت دون تحقيق البينيوس لحلمه في إنهاء الحرب بسرعة[2] وبقرب الموعد الانتخابي لسنة الجديد اتجه البينيوس إلى روما لحضور جلسات الانتخاب و ترك الجيش الروماني تحت قيادة أخيه أولوس *(Aoulus)*[3]، الذي حاول أن يحارب يوغورطة في عز الشتاء فقام بمحاصرة مدينة سثول *(suthul)*[4] ، لكن يوغورطة استدرجه بالمفاوضات حينا والهرب حين آخر حتى يأس أولوس من تحقيق الانتصار واستسلم إلى الوهن الذي أصاب جنوده أمام سياسة يوغورطة المراوغة، فباغته الجيش النوميدي في ليلة حالكة وحاصر معسكره الأمر الذي أحدث هلعا شديد بين جنوده، وانتهى إلى الاستسلام وعقد اتفاقية مع يوغورطة تنص على مغادرة الجيش الروماني لنوميديا مقابل الحفاظ على حياة جنوده من طرف يوغورطة وهو ما اعتبرته روما إهانة واستخفاف بهيبة الدولة الرومانية،إذ قام الملك يوغورطة بتمرير الفيالق الرومانية تحت النير كما يعبر عن ذلك سالوست[5]، وبالتالي رفضت الاتفاقية من طرف مجالس الشيوخ

---

[1]) – *Salluste, XXXVI*

[2]) – *Salluste, XXXVI*

[3]- *انتخب البينيوس لسنة 110 ق.م- 109 ق.م، بحيث ينتخب القنا صلة لعام واحد فقط ولا يقبل ترشح أحدهم لفترة ثانية إلا بحضوره شخصيا في روما، وهو ما دفع البينيوس لمغادرة نوميديا قبل نهاية الحرب والترشيح لمنصب القنصلية لسنة 109-108 ف.م. (Encarta Numérique (2009).*

[4]) – *Salluste, XXXVII*

[5]) – *Salluste, XXXVIII*

الروماني بدعوى أنها أبرمت دون إذن منه[1]، وقررت روما نزع القيادة من البينيوس وبدأت الحرب من جديد بقيادة متيلوس.

ج- حملة متيلوس *(Metellus)*

ولي متيلوس قيادة الحرب ضد يغورطة[2]، بعد انتخابه قنصل لسنة *109 ق.م* وكان يتصف بالنبل والنزاهة والنفوذ على ما يذكره المؤرخ "إبراهيم نصحي"[3] فأستند متيلوس على خبرة مساعده العسكريين في الحملة وعلى رأسهم ماريوس وروفوس *(R.Rufus)* [4] وبوصوله إلى نوميديا، عمل الكثير لإرجاع الطاعة والثقة في الجيش الروماني الذي أصابه الوهن بعد الهزيمة والإذلال الذي تعرض له من قبل يوغورطة[5].

إلا أن سمعة متيلوس الطيبة سمحت له بالحصول على الدعم المطلق من طرف روما و حلفائها[6]، وبذلك بادر في شن الحرب من موقع قوة، استهلها باحتلال مدينة فاجا[7] الإستراتيجية ليواجه الجيش النوميدي في معركة فاصلة في وادي المثول انتهت بانتصار الرومان[8] ، دون إنهاء الحرب، وبعد تجديد القنصلية لمتيلوس لسنة *108*

---

[1]- *Salluste, XXXVIX*
[2]- *Salluste, XLIII*
[3]- نصحي، إ.، *1973*، ص.*178*
[4]- نصحي، إ.، *1973*، ص. *178*.
[5]- *Salluste, XLIV*
[6]- *Salluste, XLIII*
[7]- *Salluste, XLVII*
[8]- *Salluste, XLVII*

ق.م واصل حربه ضد يوغورطة و لكنه فشل في السيطرة على مدينة زاما[1] ، وفي هذه الأجواء المشحونة أتّم يوغورطة تحالفه مع ملك موريطانيا بوخوس وقادا حملة ضد جيش متيلوس في مدينة سيرتا، لكن السنة قربت إلى نهايتها وبالتالي انته تفويض متيلوس دون أن يخّمد الحرب الدائرة في إفريقيا، وبذلك رجع إلى روما وأسندت القيادة لمساعده ماريوس[2] .

د - حملة ماريوس(Marius)

يعتبر ماريوس من الرجال القلائل الذين وصلوا إلى منصب القنصلية دون أن يكون من طبقة النبلاء[3]، إلا أن مجده العسكري مكّنه من ذلك نظير النجاح الذي حققه طوال حياته على رأس الفرق الرومانية في اسبانيا تحت قيادة سيبيون اميليان أو ضد يوغورطة تحت قيادة متيلوس، ولذلك صوت الشعب عليه لقيادة الحرب ضد يوغورطة عوضا عن متيلوس الذي اتهم بإطالة مدة الحرب ضد الملك النوميدي بهدف البقاء في كرسي المسؤولية[4] ، وفي أجواء سادها التوتر بين ماريوس ورئيسه متيلوس في قيادة الحرب في إفريقيا ضاعت الثقة بين الرجلين و أضحى من المستحيل أن يعملوا جنبا إلى جنبا[5].

---

[1] – *Salluste, L XI*

[2] – *Salluste, LXXIII*

[3] – *Salluste, LXXIII*

[4] – *Salluste, LXIV*

[5] – *Salluste, LXXIII*

ترشح ماريوس في انتخابات خريف *108 ق.م* لتولي قنصلية *107 ق.م*، وهو ما تم له بحيث عين لتسيير الحرب ضد يوغورطة دون تحديد المدة الزمنية لذلك، ما يعني أنه خول قيادة الجيش الروماني ضد يوغورطة إلى غاية نهاية الحرب، وبعد أن تولى مهامه رسميا قام بجمع المؤن والرجال لدعم الجيش الذي تركه في نوميديا لمواصلة الحرب ضد يوغورطة[1]، وسمحت له فرصة قيادة الجيش باستحداث قاعدة جديدة في نظام الجيش الروماني، إذ سمح لكل المواطنون الرومان بالانخراط في صفوف الجيش دون اعتبار لحالتهم الاجتماعية، لأن كما هو معروف قبل وصول ماريوس إلى القيادة كان الجيش الروماني لا يقبل في صفوفه الفقراء والمعدومين من أبناء الشعب بل كان يرتكز فقط على الذين بإمكانهم مواجهة نفقات الانخراط في الجيش.

لكن إجراءات ماريوس جعلت الجيش الروماني يدخل مرحلة الاحتراف، وعلى الدولة التكفل بنفقات جنودها، وهو الأمر الذي يعتبر تحولا جوهريا في العقيدة العسكرية للجيش الروماني وبذلك جمع ماريوس حوالي *20.000* جندي جديد لدعم الجيش الإفريقي[2] الذي تسلمه من روتيلوس الذي فوضه متيلوس بالمهمة عوض عنه بسبب الخلاف الشديد بينه و ماريوس قبل انتخاب ماريوس قنصلا، ومع بداية ربيع *107 ق.م* استهل ماريوس الحرب بالسيطرة على بعض القرى والمدن الغير المحصنة لدفع يوغورطة إلى معركة مباشرة وهو في ثقة كاملة بالانتصار[3]، لكن الملك يوغورطة

---

1) – *Salluste, LXXXIV*
2) – *Gsell, st., H.A.A.N, VII, P.226.*
3) – *Salluste, LXXXVII.*

واصل في نهجه المراوغ وبذلك ضيع على ماريوس سنة *107 ق.م* دون أن يحقق حلمه ووعوده بإنهاء الحرب بسرعة، ولعل أهم معركة قادها ماريوس في هذه السنة هي معركة كبسا[1] *(قفصه)(Capsa)* التي حاصرها قادما من منطقة ماضور*(Madaure)* التي حدد ستيفان قزال موقعها بين مدينة سيرتا وسيكا على بعد *250 كلم* من قفصه[2] وفي عملية مفاجئة باغت سكان قفصه وأحرق المدينة ونهب مزارعها، و قتل كل الذكور البالغين فيما اعتبر سالوست هذه الأعمال بخرق صريح لأخلاقيات الحرب و جريمة بشعة ارتكبت باسم جيش الجمهورية الرومانية[3].

وبذلك حقق انتصار معنويا أثّر على سمعته بين جنوده وأعدائه أكثر منه انتصار عسكري في مواجهة مباشرة، لكن رغم ذلك تمكن بفعله هذا من حرمان يوغورطة باستعمال هذه المدينة كحصن وقاعدة خلفية لجيشه ضد الرومان، وفي مستهل سنة *106 ق.م* جددت مهمة ماريوس في إفريقيا لمتابعة الحرب تحت اسم البروقنصل وقاد حملة عسكرية ضد معقل يوغورطة قرب واد الملوية[4] (*Mulucha*) الذي يعتبر الحد الفاصل بين مملكة يوغرطة ومملكة بوخوس و هو ما أكده سالوست في مؤلفة حرب يوغورطة[5] والذي وصفه بالمعقل الحصين والشديد الوعورة إلى حد جعل ماريوس ييأس من اقتحامه،

---

1) – *Salluste, XCI.*
2) – *Gsell, st., H.A.A.N, VII, p. 232.*
3) – *Salluste, XCI.*
4) – *Pomponius Mela, Géographie, I.V.VI, Trad. Baudet ,1843.Paris.*
5) – *Salluste, XCIV.*

قبل أن يكتشف ثغرة تقع في الجهة الخلفية للمعسكر سمحت له بمفاجئة النوميديون واحتلال الموقع بعد معركة قاسية بين الطرفين[1]

وفي هذه الأثناء وصلته أخبار تمرد حدث في مدينة سيرتا التي تعتبر أهم مدينة استولى عليها الرومان في مملكة يوغورطة وهو الأمر الذي اعتبره بالخطير، ما دفعه إلى ترك حملته في نوميديا الغربية والعودة في الحال إلى سيرتا[2]، وفي طريق العودة فاجئه كل من بوخوس ملك موريطانيا و يوغورطة بجيش ضخم حاصره على حافة أحد الجبال، لكنه عرف كيف ينقذ نفسه من هذا الخطر بمفاجئة المحاصرين فجرا بينما كانوا في نوم عميق بعد ليلة صاخبة[3]، وبذلك خرج من الطوق المفروض عليه دون أن يلحق بأعدائه هزيمة تمنعهم من مواصلة الحرب، وفي فترة وجيزة صدا الملك النوميدي طريق العودة على ماريوس في مسيرته نحو سيرتا ودخلا في معركة حامية الوطيس انتهت بخسائر فادحة بين الطرفين[4] .

وهو الأمر الذي دفع بالملك بوخوس إلى التفاوض مع ماريوس حول إنهاء الحرب بينما وصل يوغورطة الحرب بجيش قليل العدد والعتاد، فبعث بوخوس رسله إلى سرتا يطالب التفاوض[5] وبذلك بعث ماريوس مساعده مانليوس والمفوض المالي سيلا لتفاهم مع بوخوس، فحاول كل جانب عرض فكرته حول الشروط اللازمة لعقد اتفاقية

---

1) – *Salluste, XCIV*

2) – *Gsell,st., H.A.A.N , VII, P.242*

3) – *Salluste, XCIX*

4) – *Salluste, CI*

5) – *Salluste, CII*

سلام بينهما فدافع بوخوس عن ما قام به من حرب ضد الرومان واعتبرها دفاع شرعي عن مملكته[1]

فيما حاول سيلا استمالة الملك بوخوس إلى جانب الرومان ووعده بالعفو عما سبق إن تحالف معهم وقبل صداقة الشعب الروماني، وبذلك فوض ماريوس بعثة بوخوس لتوجه نحو روما وطلب الصداقة من مجلس الشيوخ الروماني المخول الوحيد لمثل هذه الاتفاقيات، وإن قبل مجلس الشيوخ طلب البعثة الموريطانية، فإن المقابل المنتظر منهم كان واضحا وهو تمكين روما من يوغورطة ، أي خيانة يوغورطة وهذا ما نفهمه من خلال ما ذكره سالوست عن جواب مجلس الشيوخ الروماني لطلب بوخوس المتمثل في التحالف مع روما: *" إن مجلس الشيوخ والشعب الروماني تعودوا أن لا ينسوا، لا خدمة ولا إهانة، ولكن حيث أن بوخوس ندم، فقد عفي عن ذنبه وأما التحالف والصداقة فستوهبان له حين يستحقها*[2] .

وبعد عودة مبعوثي بوخوس من روما، بعث ماريوس مساعده سيلا وفرقة من الفرسان قاصدين مملكة موريتانيا لتفاوض مع الملك بوخوس[3] ، حول مذكرة التفاهم التي فوضها مجلس الشيوخ، وبعد ترتيب الأمور في معسكر بوخوس تم الاجتماع بين الطرفين بحضور ممثل عن يوغورطة وهو أصبار[4] *(Aspar)* ويبدو أن حضوره دبر خصيصا

[1] – Salluste,CII
[2] – Salluste, CIV
[3] – Salluste, CV
[4] – Salluste, CVIII

ليوغورطة حتى لا يشك في أمر بوخوس وهدفه من المفاوضات، لكن سالوست اعتبر ذلك الأمر بقبول حضور ممثل عن يوغورطة الاجتماع بمثابة تردد بوخوس بين التحالف النهائي مع الرومان، ومواصلة تحالفه مع الملك النوميدي[1] وانتهى الاجتماع بتفاهم الطرفين على تلقي جواب الملك بوخوس في اختياره بين السلم أو الحرب مع الرومان، لكن يبدو أن الرومان و بوخوس اتفقوا على مذكرة سرية دون علم أصبار تقضي بتسليم يوغورطة على ما يذكر سالوست[2]

وبذلك عاد كل طرف إلى معسكره انتظار للجواب، وقبل نهاية المهلة المتفق عليها التقى سيلا الملك بوخوس على إنفراد وفي سرية تامة[3] . وعرض بوخوس على الممثل الروماني قبول الانسحاب من الحرب والتخلي عن الملك يوغورطة واتخاذ موقف محايد، لكن سيلا طلب منه تسليم يوغورطة لروما حتى يعترفوا له بصداقته وبعد إلحاح شديد من سيلا قبل بوخوس ارتكاب هذه الخيانة من أجل الحفاظ على صداقة الرومان[4]

وفي مؤامرة دبرها بوخوس دعي الملك يوغورطة إلى اجتماع يظم الملك بوخوس وسيلا لتفاهم على مذكرة تصالح بين كل الأطراف، وهناك دبرت له مكيدة وتم اعتقاله وتسليمه إلى ماريوس[5]، وبذلك انتهت الحرب في نوميديا أواخر سنة *105 ق.م*؛ أما يوغورطة فتم تحويله إلى روما أين أهين بإجباره على السير أمام عربة المنتصر

---

[1] – *Salluste, CVIII*
[2] – *Salluste , CIX*
[3] – *Salluste,CIX*
[4] – *Salluste, CXI*
[5] – *Salluste, CXIII*

ماريوس كما جرت العادة في روما لمثل هذه الأحداث، وبعده تم اقتياده إلى سجن *توليا نوم*(*Tullianum*) أين قضى أخر أيام حياته، وإن بقيت ذكراه خالدة في عقول وقلوب النوميديون لمدة طويلة من الزمن تذكير لشجاعته وعدالة قضيته.

2- مقاومة ارابيون (Arabion)

بعد مرور نصف قرن من الزمن على نهاية حرب يوغورطة، ظهر مقاوم نوميدي أخر انحدر من الأسرة الملكية للملك ماسنيسا، وهو ابن ماسنيسا الثاني على ما يذكر البشير شنتي[1] وكان إلى جانب الملك يوبا الأول في حربه ضد قيصر، وانتقل إلى إسبانيا مع أنصار بومبي بعد أن خسروا الحرب ضد قيصر في شمال إفريقيا، لكن بعد مقتل قيصر سنه *44 ق.م* حدثت اضطرابات سياسية شديدة في روما كان تأثيرها واضح على الأوضاع في بلاد إفريقيا، إذ تنازع كل من حاكم الولاية الإفريقية القديمة *كونيفيسيوس*(*P.cornificius*) وحاكم الولاية الإفريقية الجديدة *سيكيتوس*(*Sextius*[2]) وانظم ارابيون إلى حاكم الولاية الجديدة باعتباره تمرد على قرار مجلس الشيوخ الروماني الذي جرده من منصبه، فقام سيكيتوس بتقديم وعد صريح للملك ارابيون بالتخلي على المقاطعة لصالح أربيون لاسترجاع مملكة نوميديا إذا تم لهم النجاح، كما كان لاربيون هدف أخر من مقاومته تمثل في محاربة المرتزق سيتوس وجنوده الذين سلم لهم قيصر منطقة في أراضي نوميديا لإقامة إمارة لهم عقب انتصاره على أنصار بومبي في الحرب

1- شنيتي،م.ب.، 1985، ص 68 .
2- شنيتي ،م.ب.،1985، ص. 68 .

الأهلية نظير المجهود الذي قاموا به لمساعدته وهو الأمر الذي اعتبره أربيون إهانة لا يمكن السكوت عنها وبالتالي، ركز مجهوده الحربي ضدهم وتمكن من القضاء على إمارتهم وقتل سيتوس شخصيا[1] .

كما استرجع ارابيون الشطر الغربي لمملكة نوميديا الذي كان تحت سيطرة بوخوس الثالث ملك موريطانيا، وبذلك تمكن من إحياء المملكة النوميدية التابعة لأجداده، ماسنيسا ، يوغورطة ويوبا الأول، لكن سرعان ما فهم سيكستيوس نوايا الملك النوميدي الوطنية ولذلك دبر عملية اغتياله حتى لا يستعص أمره فيما بعد، و قام سيكستيوس بهذه الخطوة بدافع الغيرة والخوف[2] ، لكن يبقى الغموض ما زال يلوف هذه الحادثة التي تظهر الوجه الحقيقي لساسة الرومان اتجاه كل من حاول استرجاع أملاك أجداده، فرغم وقوف الملك ارابيون إلى جانب سيكستيوس ضد أعدائه بحيث ساهم في الانتصارات التي تحققت له و رغم الوعد الذي الزم سيكستيوس نفسه به لاارابيون إلا انه غدر به بمجرد أن أحس بقوته وتأثيره على سير الأحداث في المنطقة ، وبذلك انتهت محاولة المقاومة التي قام بها هذا الملك النوميدي من سنة *44 ق.م* إلى غاية سنة *41 ق.م*، لإرجاع الأمور إلى مكانها بعد ما أحدثه قيصر من تغيرات على الخريطة السياسية لشمال إفريقيا عقب انتصاره سنة *46* *ق .م*

3- مقاومة تكفاريناس (*Tacfarinas*)

(1 – *Mercier, E., 1888, t. 1, p.84*

(2 – *Mercier, E.,1888, t. 1, p.86*

شهد التوسع الروماني في شمال إفريقيا مقاومة شديدة من طرف الأفارقة نتيجة السياسة التي انتهجها الرومان في السيطرة على الأراضي الخصبة لصالح المستعمرون الرومان وضمها إلى الأراضي التي تعتبر ملك للشعب الروماني حسب التشريع الروماني الذي ينص على أن كل أرض تم انتزاعها من العدو بقوة السلاح تصبح فورا ملك لشعب الروماني، وفي المقابل سيتم تهجير سكانها الأصلين إلى المناطق الفقيرة أو استغلالهم كأجراء أو عبيد في أراضي أجدادهم، وهو ما حدث عندما حاول الإمبراطور تبيريوس التوسع على حساب أراضي القبائل النوميدية في منطقة لأوراس، فواجه مقاومة عنيفة جدا عرفت باسم قائدها وهي ثورة تكفاريناس[1] .

وكان السبب الرئيسي لهذا المقاومة هو رفض الإمبراطور تبيريوس إعادة الأرض التي احتلها لأصحابها وبالتالي قامت ثورة عارمة ضد التواجد الروماني في المنطقة سرعان ما انتشرت في ربوع شاسعة من منطقة إفريقيا[2] .

ورغم المعلومات القليلة المتوفرة عن هذه الثورة باعتراف المؤرخين إلا أن الواضح في الأمر أن قبائل الجيتول التي احتلت منطقة السهول العليا وحواف الصحراء هي التي كانت وراء هذه الثورة[3] ، باعتبارها لم تدخل تحت السيطرة الرومانية حتى تلك

---

1) شنيتي ،م.ب.، *1984. ص. 52* .

2) *Mercier, E., 1888, t.1.p.92 –*

3) *Tacite, Annales, II, XXII, trad. Bunouf, J.1859, paris.-*

القترة ربما لبعدها عن المناطق الساحلية، إذ أرجع كانيا سبب بقائها خارج النفوذ الروماني إلى طبيعة هؤلاء التي تتميز بشدة البأس وكذا نمط معيشتهم المتسم بالترحال[1]

ومهما كان من سبب انعزالهم إلا أنهم قادوا مقاومة شرسة ضد المحتل الروماني بمجرد أن وطئت أقدامه أراضهم، بحيث قاد المقاومة القائد تكفاريناس[2] الذي كان يعرف جيدا آلية عمل الجيش الروماني باعتباره ضابط سابق في الفيالق المساعدة للجيش الروماني قبل اعتزاله الجندية بتمرده على السلطة الرومانية[3]، وسلطة يوبا الثاني *(Juba II)* التي اعتبرها عميلة للرومان لما تمادت في إهانة الأهالي بانتزاع أراضيهم[4]، وربما كانت منطقة الهدنة *(Hudna)* الواقعة في أراضي الجزائر الحالية منطقة لانطلاق الثورة قبل أن تتسع نحو الشرق وتشمل معظم نوميديا، ثم اتحدوا بعدها مع قبائل الموسلامي و هي القبائل الساكنة شرق المملكة النوميدية التي يحددها كانيا بمنطقة تبسة الحالية[5] ووصلت المقاومة من القوة حدا خطيرا هددت فيه أملاك يوبا الثاني في موريتانيا القيصرية وكذا مصالح الرومان في المنطقة، الأمر الذي دفع بالسلطات الرومانية إلى شن حرب دون هوادة ضد الثوار أملا في إخماد الثورة حتى لا تشجع تمرد المناطق الأخرى .

---

1) – *Cagnat, R., 1913, p.04*
2) - *Tacite, Annales, II, XXIII*
3) - *Tacite, Annales, II, XXIII*
4) - *Tacite, Annales, II, XXIII*
5) – *Cagnat, R., 1913, p.05, 28*

فكان القنصل *سومبرونوس أتراتينوس (Sempronius Atratinus)* أول من قاد الجيش الروماني ضد الثوار، ومع انتهاء ولايته واستمرار المقاومة خلفه على رأس الجيش الروماني القنصل كورنليوس باللبوس[1] (*Cornelius Palbus*) ؛ فوجد الأمور متدهورة بشكل خطير بسبب شمول المقاومة لقبائل الغرامات التي انضمت إلى قبائل الجيتول والمسولامي في السنة الثانية من بداية الثورة[2] وبذلك قام القنصل الجديد بقيادة حملة عسكرية واسعة ضد قبائل الغرامات أين أحرز العديد من الانتصارات وسيطر على مدن عدة، دون أن يتمكن من إخماد المقاومة، رغم ما أصابها من وهن وضعف دفعها إلى تغير إستراتيجية المواجهة المباشرة إلى حرب العصابات التي استنزفت الجيش الروماني[3] ، وربما هذه الإستراتيجية استلهمها الثوار من مقاومة يوغورطة التي لم تغادر بعد أذهان النوميديين لما أحدثه من متاعب و رعب في صفوف الرومان لمدة طويلة، وبالطبع لم يكن لثوار من خيار آخر في مواجهة جيش يفوقه عددا وعتادا، وكان لهذه الإستراتيجية الجديدة التي اعتمدها المقاومون النومديون نتائج كراثية على الجيش الروماني الذي فقد العديد من قادته في معارك الكر والفر ضد الثوار.

ولم يكن من مصلحة روما الإبقاء على جيش ضخم في حالة تأهب لمدة طويلة دون تمكنها من العدو، وهو ما دفع بها لطاب مساعدة يوبا الثاني بقواته التي انضمت إلى الجيش الروماني، وهو ما تؤكده الخواتم التي ضربت على عملة الملك في تلك الفترة

---

[1] – Pline, L'Ancien, Histoire Naturelle, V, XXXVI, Trad . J., Désanges, 1980 ,Paris.

[2] – *Cagnat, R.,1913, p06*

[3] - *Tacite, Annales, III, 3 ,25*

والتي تخلّد انتصاراته[1] وفي هذه الأجواء المضطربة قام تكفاريناس بعقد تحالف مع ملك المور[2] *(Mazipa)* [3] وجدد جيشه ودربه على الطريقة الرومانية، وباع صيته بين القبائل النوميدية وشملت المقاومة معظم أراضي المقاطعة الإفريقية ، فبادر البروقنصل الروماني فوريوس كاملوس (*Furius Camillus*) لتجهيز جيش كبير من الفيالق الرومانية التابعة للفرقة الأغسطية الثالثة كما استعان بالفرق المساعدة لمواجهة مقاومة تكفاريناس، و بذلك تمكن من هزيمة جيش الثوار في أول معركة ضدهم، فتراجع المقاومون نحو المناطق الداخلية لترتيب أنفسهم بعيدا عن أعين الجيش الروماني[4].

وبعد ثلاث سنوات عن بداية المقاومة عاود الثوار هجماتهم على الأراضي الخاضعة للسيطرة الرومانية، وقاموا بالسيطرة على العديد من الحصون العسكرية الرومانية المتواجدة في التخوم وكذلك نصبوا كمائن للفيالق الرومانية التي تجرأت في الابتعاد داخل الأراضي البعيدة، وهو ما كبد الجيش الروماني خسائر فادحة في العتاد والأرواح[5]

الانتصارات التي حققها الثوار بقيادة تكفاريناس دفعت البرقنصول أبرونيوس للأخذ الأمور بجدية ولذلك استدعى الفرقة التاسعة من *منطقة بانو نيا*[6] *(Pannonie)* بالإضافة إلى الفرقة الأغسطية الثالثة المتواجدة في إفريقيا، فقاد حملة عسكرية ضد

1) - *Cagnat, R., 1913, P.09*
2) – *Mercier, E., 1888, t. 1, p.92*
3) – *Tacite, Annales, II, XXIII*
4) *Tacite, Annales, III, 3, 20,21.*
5) *Tacite, Annales, III, 3, 20,21.*
6) *Tacite, Annale, IV, XXIV.*

تكفاريناس لاسترجاع الحصون الحدودية التي سيطر عليها المقاومون، وخلدت هذه الحملات العسكرية بضرب خواتم على العملة الرومانية باسم البرقنصول *أبرونيوس* *(Apronius)*.[1]

هذه الحملات هي التي دفعت القائد تكفاريناس لتغيير إستراتيجية الحرب واتخاذ حرب العصابات وسيلة لمواصلة المقاومة وحذا بذلك خطى أسلافه من يوغورطة وكذا مقاومي الجيتول، ولكن تكفاريناس بنى عمله العسكري على الهجوم المباغت في مناطق عديدة من نوميديا في نفس الوقت بهدف تشتيت الجيش الروماني، إلا أن الجيش الروماني نجح في إلحاق خسارة قاسية بجيش تكفاريناس في سهل مفتوح، وهو ما دفع المقاومون لتراجع نحو الصحراء، لكن ما لبثوا أن رجعوا بجيش جديد لمواجهة الرومان داخل الأراضي التي سيطروا عليها في سنة *21م*، ووصلت الجرأة بالقائد تكفاريناس حسب ما وصفه تاسيت حد مفاوضة الإمبراطور تبيريوس الذي وصفه المؤرخ الألماني مومسان بأنه *"اقدر حاكم للإمبراطورية على الإطلاق"*[2]، بحيث طلب منه من خلال بعثة المفاوضين التخلي على الأراضي التي احتلها الجيش الروماني أو مواجهة الحرب[3] وهو الموقف الذي اعتبره الرومان إهانة لهم وللإمبراطور شخصيا ولذلك رفضوا التفاوض[4] .

---

1) *Cagnat, R., 1913, P.15.*

2) *مومسان،ث.، نقلا عن . ارنست ماسون ، تعريب جمال السيد . ص 06*

3) *Tacite, Annales, III, 3,73.*

4) *Tacite, Annales, III, 3 ,74 .*

فتابع الطرفين الحرب، وقاد الجيش الروماني البروقنصل الجديد *جونيوس بلا يسوس*[1] (*Blases Junius*) ، الذي حاول كسب جانب المقاومين بعد أن وعدهم بالعفو إن هم ألقوا الأسلحة[2] ، وهو الأمر الذي دفع بعض مناصري القائد تكفاريناس لتخلي عن السلاح وكذلك عمل القائد الجديد بإتباع إستراتيجية عدوه تكفاريناس في القتال فوزع جنوده على ثلاث فرق في ربوع نوميديا والأمر الذي شجع البرقنصول على إتباع هذه الخطة هو ضعف جيش تكفاريناس فليس له ما يخاف على فرقه المنشورة، وعمل بساسته الجديد على تطويق تكفاريناس وقطع طرق العودة في وجهه نحو المناطق الداخلية التي يلتجئ إليها كلما ضاقت به السبل[3] ، وبتوزيع هذه الفرق العسكرية غلق فك الكماشة ضد تكفاريناس، و بحلول فصل الشتاء خالف البرقنصول قواعد الجيش الروماني الذي يعود للإقامة في معسكره الشتوي في الولاية الإفريقية بينما هو ترك الجيش في معسكرات داخلية في الأراضي التي سيطر عليها ليسهل عليه مراقبة المقاومون[4] ، وفي سنة *23 م* توفي الملك يوبا الثاني، وخلفه ابنه بطليموس الذي أثارت سلوكه حفيظة مواطنيه المور[5]، وبذلك انظموا إلى قائد المقاومة تكفاريناس[6]، وكان على البروقنصل الجديد *دولابيلا*[7] (*Dolabella*) مواجهة الوضع في المقاطعة الإفريقية [8] ، التي ثارت برمتها برمتها ضد التواجد الروماني، وقام تكفاريناس بمحاصرة المدن وشن حرب دون هوادة

Tacite, Annales, III, 3,74. (2
Tacite, Annales. IIII, 3 ,74. (3
Tacite, Annales, III, 3,74. (4
Tacite, IV, XXIII. (5
Cagnat, R .,1913, P.22. (6
Tacite, IV, XXIII. (7
Tacite, IV, XXIV. (8

على كل ما يرمز لسلطة الرومانية في المنطقة مستغلا في ذلك تعاطف الأفارقة مع قضيته.

ولعل أهم مدينة قام بمحاصرتها الثوار ما ذكره تاسيت عن مدينة تبوسوكتوا(*Tubusuptus*)[1] ، وهي مدينة تكلات الحالية كما حددها المؤرخ ارنست مرسيي[2] (*Mercier, E*) وهي مدينة ساحلية تظهر لنا مدى انتشار المقاومة حتى عمت المدن التي كانت إلى وقت قريب تحت السيطرة الكاملة للسلطة الرومانية، لكن دولابيلا أنقذ المدينة من الحصار[3] ، وحاول استمالة زعماء القبائل المناوئة وأنشأ حصون جديدة لمواجهة المقاومة دون الدخول في معارك مباشرة ضدهم، وقام بترتيب جيشه ودعمه بقوات مساعدة تابعة لملك موريتانيا بطليموس وبعض القبائل الموالية للرومان[4] ، وبذلك توفر له جيش كبير، فقاد حملة واسعة ضد معقل تكفاريناس في مدينة أووزيا (*Auzea*) [5] ، أين الحق هزيمة بجيش الثوار، وتمكن في هذه المعركة من قتل تكفاريناس[6]، قائد المقاومة وبذلك وضعت الحرب أوزارها وانتهت المقاومة سنة *24* م; بعد صمود دام سبع سنوات تكبد فيها الرومان خسائر جسيمة.

من خلال تعريجنا في هذه الفصل على المقاومة الإفريقية لكل من الملك النوميدي يوغورطة ، ارابيون و تكفاريناس يمكن لنا استخلاص بعض النتائج وهي:

---

1) *Tacite, IV, XXIV*.

2) *Mercier, E., 1888,t. 1,p.93* .

3) *Tacite, , IV, XXIV.*

4) *Tacite, IV, XXIV.*

5) *Mercier, E., 1888, I, p.94.*

6) *Tacite, Annales, IV, XXV.*

أن الأهالي لم يذعنوا للاحتلال الروماني، وكل ما حققه الاحتلال الروماني وإنما كان بحد السيف بعيدا عن تواطأ الأهالي أو على الأقل البسطاء منهم.

كل المقاومات الوطنية شهدت نفس النهاية المأساوية لقادتها بسبب المؤامرات والمكائد التي يدبرها الساسة الرومان ضدهم وبطرق مخالفة للشرف العسكري الروماني الذي يتباه به الكثير من المؤرخين.

اتهام المؤرخين للملك يوغورطة بأنه يعتنق الرشوة وأن النوميديين شعب لا يثق فيه بسبب ما اشتهروا به من خيانة العهد، وإنما محاولة من هؤلاء المؤرخين النيل من قيمة رجال وشعب رفض العبودية.

اعتقال يوغورطة بتلك الطريقة تؤكد بالبرهان إن صدق ما رواه سالوست[1] أن الرومان احترفوا أنفسهم نفس الصفات التي اتهموا بها الملك يوغورطة إذ لجئوا إلى الغدر لتمكن منه بعد فشلهم في القضاء عليه في ميدان الشرف.

أن الرومان وعقب كل مقاومة قاموا بتوسيع حدودهم على حساب أراضي الممالك النوميدية وهو ما حدث عندما انهزم يوبا الأول ضد قيصر فضم مملكته، ونفسه مع تكفاريناس إذ امتد النفوذ الروماني نحو الجنوب ليشمل أراضي جديدة داخلية، ما يظهر النوايا الفعلية للرومان لسيطرة على المنطقة والتوسع كلما سمحت لهم الفرصة

---

[1] Salluste, CXIII.

وهو ما يفند تصريحات المؤرخين الذين يدعون أن روما لم يكن في مفكرتها احتلال المنطقة.

في خاتمة الفصل يجدر بنا الذكر أن المقاومة الإفريقية ضد الرومان خاصة مقاومة يوغرطة و تكفاريناس رغم فشلها إلا أنها بقيت محل افتخار كل من يحس بانتمائه إلى الأمة الإفريقية إلى يومنا هذا، وأسمائهم بقيت في الذاكرة الجماعية رغم كل المحاولات التي قام بها المؤرخين القدماء والمحدثين لطمس معالم هؤلاء القادة ما يبرز لنا تمسك الأفارقة بقضيتهم وتعطشهم للحرية والتخلص من عبودية الرومان التي فرضت قصرا عليهم.

الخاتمة

كانت المرحلة الأولى من التواجد الروماني في شمال إفريقيا من أكثر الفترات غموضا في تاريخ الجيش الروماني في إفريقيا بسبب التعقيدات التي نتجت عن تسارع الأحداث والتطورات الميدانية المفاجئة التي فرضت منطقها على كل الأطرف المعنية من الرومان و النوميديون بحيث كانت نتيجتها الحتمية تشابك العلاقات وتشبعها من تحالفات وصراعات عنيفة وفترات سلام مؤقتة رسمت السياسة العامة لمنطقة إفريقيا لقرون قادمة كان فيها الرومان أسياد بلا منازع فيما حاول الأفارقة التخلص دون جدوى من الدخيل الروماني و هو ما عبرت عنه المقاومات العديدة التي قادها الأهالي في مختلف فترات تواجد هذا الاحتلال.

تعتبر هذه الخلاصة بمثابة الفكرة العامة للفترة التي شملتها دراستنا للجيش الروماني وهيآته في المغرب القديم "**146**ق.م/**40**م"، و إن سمحت لنا بالتطلع على مختلف الأحداث والتطورات التي عرفها الجيش الروماني في إفريقيا وكذا الأوضاع العامة للسكان وعلاقاتهم مع الجيش الروماني، تركت لنا انطباع شديد في الأهداف البعيدة التي كانت تكتنف السياسة العامة لهذا الجيش اتجاه المنطقة و الدور الريادي الذي لعبه في كل المجالات السياسية والاقتصادية الذي كان بمثابة السفينة التي حملت المشروع الروماني في إفريقيا إلى بر الأمان.

استخلصنا منها استنتاجات وتساؤلات مهمة بإمكانها أن تكون نقطة انطلاق في تحقيق دراسات جديدة في الموضوع مستقبلا، و قمنا بتلخيص هذه الملاحظات في النقاط التالية:

كان سقوط قرطاجة في سنة 146 ق.م بمثابة نقطة انطلاق الرومان في تنفيذ مشروعهم الاستعماري تجاه إفريقيا، و بالمقابل بداية النهاية للتحالفات الإستراتجية مع الممالك النوميدية المتّسمة بالمصلحة المشتركة ، لتبدأ مرحلة التحالفات المبنية على التبعية المباشرة بين ممالك إفريقية ضعيفة و مستعمر عرف كيف يلعب على الخلافات الداخلية للأفارقة.

معظم المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الجيش الروماني كانت يشوبها الكثير من الغموض ، و إن كان يجب علينا الاعتراف باستحالة الاستغناء عنها في البحث عن تاريخ إفريقيا وكذا تاريخ الجيش الروماني، إلا إن الحذر في التعامل مع المعلومات الواردة فيها تبقى من واجبات الباحث بالنظر إلى انحيازها في تمجيد الحضارة الرومانية على حساب الحقوق الشرعية للأهالي في مواقف كثيرة .

المقاومة الوطنية لكل الملوك والقادة النوميديين، و بغض النظر عن الظروف التي نشبت فيها والنتائج التي آلت إليها تبقى مفخرة في تاريخ الأفارقة وتعبير صادق لكبرياء أهاليها، كما أنها كانت ردة فعل طبيعية على سياسة التوسع الروماني على حساب أراضي أجدادهم

رغم المحاولات المتكررة و الأساليب المختلفة التي انتهجها الجيش الروماني لإخماد مقاومة السكان الأهالي والقضاء على الخاصية المحلية لسكانه بمحاولة تذويبه في المجتمع

الروماني، إلا انه فشل في مسعاه نتيجة الرفض والمقاومة التي تبنّاها الأفارقة اتجاه المستعمر .

أن الرومان كثيرا ما انتهجوا سياسة مخالفة للشرف الروماني الذي تباه به المؤرخون الممجدون للرومان، والتي بسببها أطلقت روما تسمية البرابرة والشعوب المتوحشة على خصومها ، و مثال المكيدة المدبرة ضد الملك يوغرطة خير دليل على ذلك .

الجيش الروماني عرف كيف يتأقلم مع مستجدات الميدان وبذلك نجح في السيطرة على الوضع لمدة طويلة من الزمن في إفريقيا.

الإدارة الرومانية الممثلة في جيشها المنتشر في إفريقيا كانت لها النية المسبقة في التوسع والسيطرة على المنطقة ،على عكس ما يحاول بعض المؤرخين القدماء والمحدثين منهم إقناعنا به .

كانت سياسة "فرق تسود" عماد السياسة الرومانية في إفريقيا، وهذا ما نستنتجه من خلال تتبع العلاقات المعقدة بين الممالك المحلية وروما وذلك بتفضيلها لملك على حساب الآخر.

عرف الجيش الروماني كيف يطور قدراته مع مرور الوقت ولم يتوان في الاعتماد على المجندين الغير الرومان مخالفا بذلك أهم القواعد التي تسير العقيدة العسكرية للجيش الروماني على ما يذكره المؤرخ تاسيت .

السبب الرئيسي في فشل المقاومات المحلية يعود إلى عاملين هما:

السياسة القاسية التي اتبعها الجيش الروماني في التعامل مع كل معارض لمشروعه التوسعي.

التفرقة والتشتت اللذان نخر جسد الأفارقة و التي عملت روما على تعميقه.

إن الأهمية الاقتصادية للمقاطعة الإفريقية بالنسبة للرومان كانت السبب وراء التشبث بها رغما عن مآسي السكان و الخسائر الفادحة التي تحملها الجيش الروماني في مواجهة المقاومة المحلية.

الحالة الخاصة التي كانت عليها المقاطعة الإفريقية في الأجندة السياسية والاقتصادية الرومانية كانت وراء سن تشريعات استثنائية للجيش الروماني و التوسيع من صلاحياته دون المقاطعات الأخرى التابعة للإمبراطورية.

الوضع السياسي في روما كان له التأثير المباشر على الأوضاع في إفريقيا مثلما كان عليه الحال خلال الحرب الأهلية بين الرومان، و كذا تغيير طبيعة النظام من الجمهوري إلى النظام الإمبراطوري.

كان الأفارقة طرف مباشر في كل الخلافات التي نشبت بين الساسة الرومان وبذلك كانت مشاركتهم حاسمة بالنسبة للمتخاصمين الرومان ومستقبل المنطقة و هذا ما نستنتجه من مشاركة الملك يوبا الأول على سبيل المثال في الحرب الأهلية،التي أفضت هزيمته

إلى زوال مملكة نوميديا ككائن مستقل في المنطقة ،و نفسه حال الهزيمة التي تعرض لها القائد تكفاريناس والتي نتج عنها التوسع الروماني إلى المناطق الداخلية.

التنظيم المحكم للجيش الروماني هو ما سمح له بالاستئثار بمنطقة إفريقيا ، وهذا ما يظهر من خلال انجازاته الضخمة في كل الميادين من مسح الأراضي، و قيادة الحروب و تشييد القلاع وحماية حدود المقاطعة و التعامل مع الأفارقة في كل الظروف.

المصادر

و

البيبليوغرافيا

- المصادر

Appien, 1808, *Histoire des guerres civiles de la république romaine*, Livre 01, trad. Dounous, C, paris.

Cornelius Népos, 1841, Les Vie Des Grands Capitaines, Trad. Aemoysan, M. Paris.

Dion Cassius, 1845, *Histoire Romaine*, tome, I, trad. Gros, E. paris.

Pseudo césar, 1885, *la guerre d'Afrique*, trad. Nisard, paris.

Polybe**,** *Histoire*, trad. présenté et annotée par

Denis Roussel, Paris.

Pomponius Mela, 1843, *Géographie*, Livre 01, Trad. Baudet, L. Paris.

Pline anciens, *Histoire naturel*, Livre 05, Trad. annotée et commentée par de songe.

Salluste, *La Guerre de Jugurtha*, Trad. Kamel. Chehrit,2006,Alger

Strabon, Livre XVII, Géographie *de Strabon*, trad. par Amédée, T. 1867, Paris.

Tacite**,** *la société romaine impériale, d'auguste aux antonins*, 1861, paris.

Tacite, *Annales*, L, I.II.III.IV, Trad. Bunauf, 1859, J. L. Paris.

Tite Live, *Histoire Romaine*, Trad. Nisard, 1864, Paris.

البيبليوغرافيا

أ- *البيبليوغرافيا العربية*

أيوب، إ.، 1996، *التاريخ الروماني*، بيروت.

العبادني ، م .، 1999، *الإمبراطورية الرومانية* ،الإسكندرية.

ايمار،أ.، و أبويه،ج.،1986، *تاريخ الحضارات العام*، ج 02 ،روما و إمبراطوريتها،تعريب داغر فؤاد أبو ريمان، باريس .

ارنست، م .،1985، *الإمبراطور تبيريوس*، تعريب، السيد،ج، القاهرة.

بيومي، م.، ص،1999،*المغرب القديم*،الإسكندرية.

الناصري، ع.، م، 1991، *تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري*، ط 2، القاهرة.

ورث، ت.، 2003، *الإمبراطورية الرومانية*، تعريب، رمزي، ع، ج، القاهرة.

شنتي م،ب.،1984 ،*التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع الميلادي*،الجزائر.

شنتي م ، ب.،1985، *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب "سياسة الرومنة 146 ق.م 40 م* ، الجزائر .

قزال ست.، تاريخ شمال إفريقيا القديم،2007،ج 8.7.6.5.4.3.2.1، تعريب التازي،م م، الرباط.

نصحي، إ.، 1973، *تاريخ الرومان*، ج 02، القاهرة.

ب- البيبليوغرافيا الأجنبية

Cagnat, R., 1913, *L'armée Romaine D'Afrique et l'occupation Militaire de l'Afrique sous les empereurs.* Partie I et II, Paris.

Dureau, De La Malle, 1885, *Histoire des guerres Romains, des Byzantins et des Vandales,* Paris.

Griesheimer, M., Coubie, P., *L'Afrique Romaine, 146 av JC. 439 AP JC CH II, l'expansion Romaine.*

Gsell, St. 1913-1928, *histoire anciens de l'Afrique du nord*, tomes I.II.III.IV.V.VI.VII.VIII, paris.

Guillemin, J., 1885, *Histoire Ancienne*, Edi, Paris.

Le Bohec, Y., 1989, *La troisième légion Auguste*, Paris.

Mercier, E., 1888, Livre 01*, Histoire de l'Afrique septentrionale*, PARIS.

الملاحق



الشكل (01) ،صورة أنموذجية عن اللباس الرسمي للفيالق الرومانية

الصورة مأخوذة من(WWW.GOOGLE.DZ)



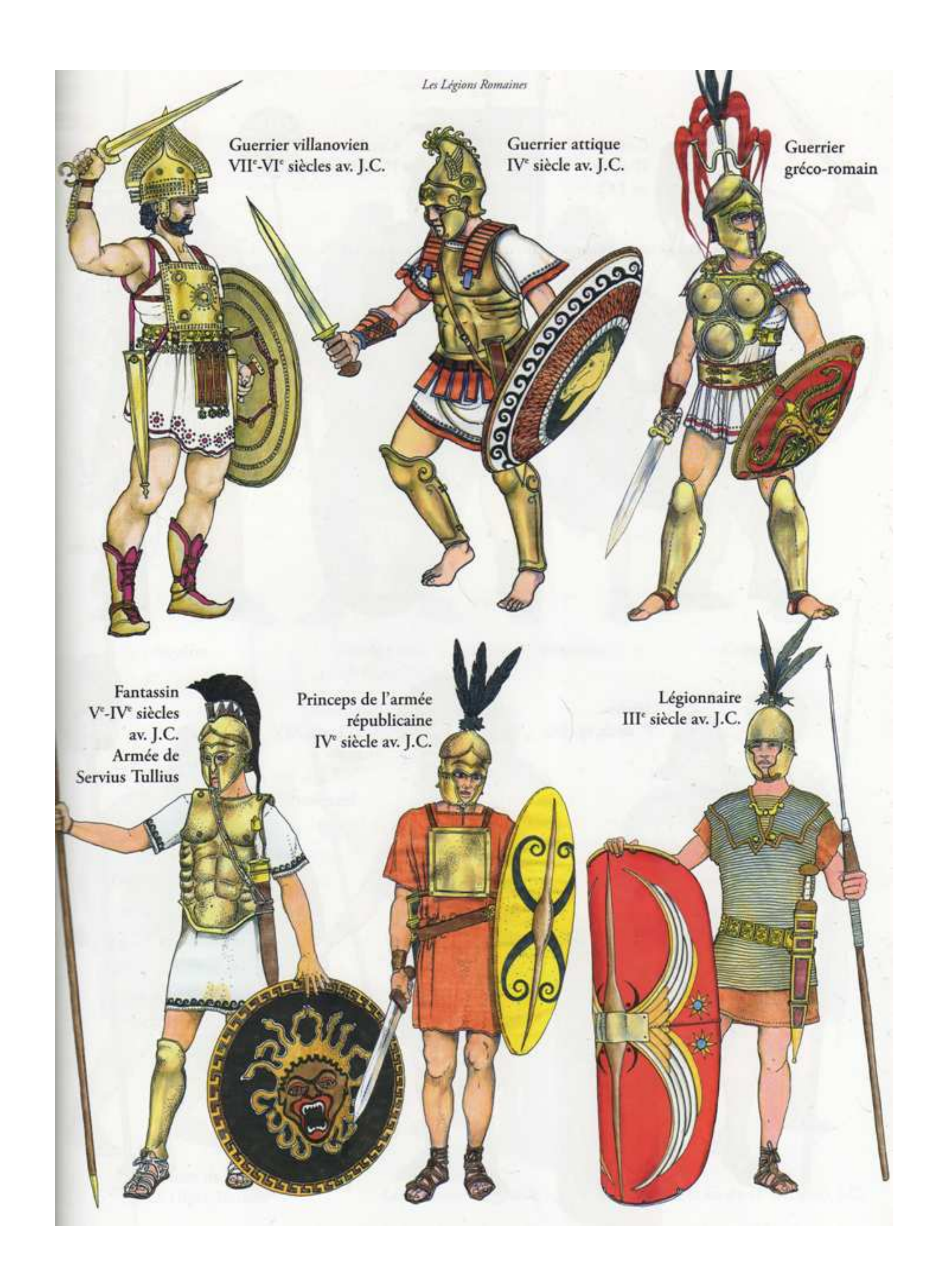
الشكل (02) ،صورة أنموذجية عن الدروع التي يستعملها الجندي الروماني لحماية نفسه في المعارك .

الصورة مأخوذة من "(WWW.GOOGLE.DZ)



الشكل (03) ،صورة أنموذجية عن اللباس الرسمي للجندي الروماني وسلاحه الفردي،المتمثل في السيف و الرمح والدرع اليدوي.

الصورة مأخوذة من(WWW.GOOGLE.DZ)



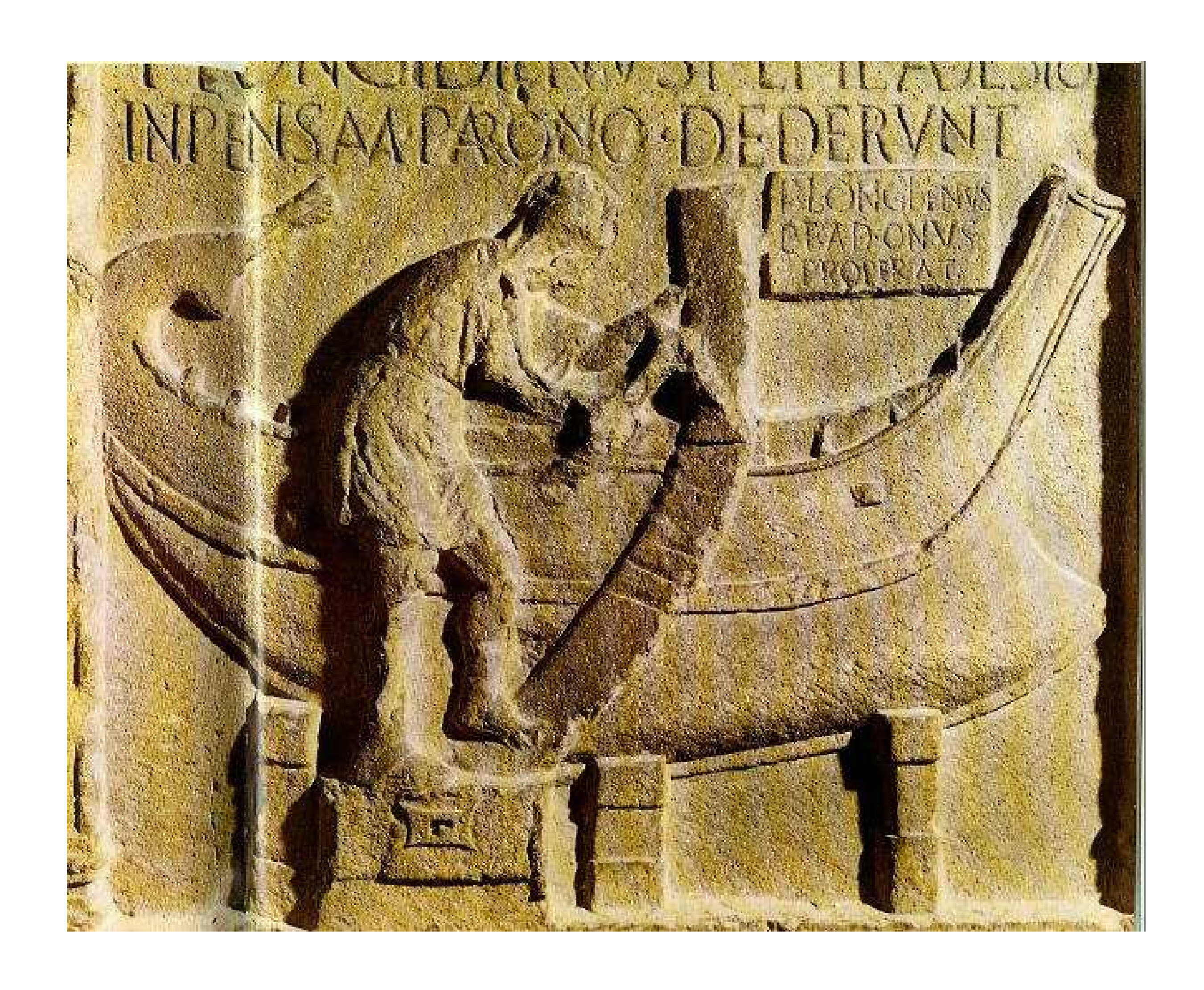
الشكل (04)،صورة أنموذجية عن اللباس الرسمي و مختلف الأسلحة التي كان الجندي الروماني يستعملها في مختلف الفترات التاريخية التي عرفت تطورا ملحوظ في الأسلحة ونوعية الألبسة.

الصورة مأخوذة من(WWW.GOOGLE.DZ)



الشكل (05) ،صورة أنموذجية عما كانت عليه الموانئ الرومانية

الصورة مأخوذة من (www.google. dz.)



الشكل (06) ، نقش حجري لسفينة رومانية، الصورة تؤكد لنا الأهمية البالغة لسفن في حياة الشعب الروماني.

الصورة مأخوذة من. www.google. Dz

فهرس المحتويات

مقدمة

- *الفصل الأول:التنظيم العسكري للجيش الروماني في إفريقيا*

1 - التنظيم البري

أ - *الفرق النظامية "الفرقة الاغسطية الثالثة نموذجا"*

- *تاريخ الفرقة.*

- *قادة الفرق:*

- البروقنصل (Proconsul)

- الليغا (Légats)

- النقباء (Les tribuns)

- النقيب لاتكلاف (Le tribun Laticlave)

- النقيب أنغستيكلاف (Le tribun angusticlave)

- نقباء الستة اشهر (Les tribuns Semestres)

- الجنود والتجنيد في الفرقة الاغسطية الثالثة .

- انجازات الفرقة الاغسطية الثالثة.

ب - الفرق المساعدة في الجيش الروماني.

2- التنظيم البحري للجيش الروماني في إفريقيا:

أ- تاريخ البحرية

ب- تركيب البحرية الرومانية

الفصل الثاني: التنظيم اللوجستيكي للجيش الروماني

أ- المؤونة

ب - الألبسة

ج - الأسلحة

د - الرواتب

الفصل الثالث: منجزات الجيش الروماني في إفريقيا"

- 1- الانجازات العسكرية.

- 2- الانجازات الاقتصادية و السياسية.